

د. صالح عيظة الزهراني

الأندلس والأدب الأندلسي في الدراسات الإسبانية الحديثة أثر الأيديولوجيا في توجيه القراءة*

د. صالح عيظة الزهراني (*)

المقدمة:

في الاستعراب الإسباني الحديث:

يصح- في تقديري- تعريف الاستعراب الإسباني بأنه كل ما كتب عن الحضارة العربية باللغة الإسبانية، سواء أكان الباحث إسبانياً أم غير ذلك، لكنّ هذا توسع لا تعوزه الورقة الحاضرة، من حيث هي التفتاة إلى نتاج المستعربين الإسبان فحسب، وهو تقييد ملائم بالنظر لانتمائهم لبيئة بحثية واحدة ولذات التكوين الثقافي غالباً، علاوة على تماهيم الأكيد بالأندلس على نحو قد لا يجاريهم فيه غيرهم، ما سيعيننا على تحسس تخوم الموضوع بقدر أجدى وأولى، مع التوكيد على أن ما سطره المستعربون الإسبان بغير لغتهم، مأخوذ في الحسبان ومضمن في هذا الإطار كذلك. وسنذهب أيضاً مذهب الجلة من المستعربين الإسبان الذين حصروا مجال الاستعراب الإسباني في الدراسات التي تتناول الأندلس، وهو انحياز يفرضه واقع البحث الاستعرابي اليوم في إسبانيا، من توافر كبير على الأندلس أفردته عن حقل الاستشراق والاستفراق، أما مصطلح

(*) أشكر مركز البحوث بكلية الآداب بجامعة الملك سعود لدعمه هذا البحث.

(*) أستاذ مشارك في الأدب والدراسات الأندلسية بجامعة الملك سعود بالرياض.

الأندلس والأدب الأندلسي

"الاستعراب" في ذاته، فينفسح بالضرورة للدرس الذي يتناول الثقافة العربية في شتى مجالاتها^(١).

والواقع أنه ليس من قبيل الوهم عد الاستعراب الإسباني حالة خاصة تند عن مثيلاتها التي سبقتها في مضمار الانهماك في التراث العربي الإسلامي في الأندلس خاصة. ومع تباين الدوافع الماثلة خلف تلك التجارب، من علمية وغير علمية؛ تمتاز التجربة الإسبانية باحتواء غامر لكل ما هو أندلسي، يجعل من الانقطاع إليه والشغف به فريضة تفرضها لوازم الدم والهوية. لقد ذاع بين المستعربين الإسبان هذا الشعور العميق فغدا لهم هادياً ومعيناً على احتمال مشقة البحث والتفاني في سبر أغوار ثقافة منهارة وجدوا فيها ضالتهن المنشودة، وألفوها حلاً مقبولاً لإشكال التردد حيال الذات الذي اجتاح الأنا الإسبانية منذ تراجع نفوذها الاستعماري وانحسار قواها الإمبراطورية.

وليس يخفى على لفيف الدارسين انشطار الاستعراب الإسباني في اتجاهين كبيرين إزاء الأندلس إجمالاً؛ أحدهما مناهض له ومنكر لدوره في تشكيل الثقافة الإسبانية، والآخر على النقيض تماماً؛ يؤمن به ويعترف بفضلته وعميق أثره^(٢).

لكن ما يلزم قوله، هو أن من تلك الأقلام -على اختلاف مشاربها- من قام بما يشبه إعادة المونتاج للأندلس؛ فكيفه وفق قيم محددة يستطيع معها الانصهار فيه تماماً. إن الأندلس بمكونه العربي الإسلامي ليس الفضاء الذي يستحق التفاني

(١) انظر الأندلس بروى استعرابية (دراسة في جهود المستعربين الإسبان المهتمين بالتراث الأندلسي)، محمد العمارتي، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٣، ص ٢٩؛ وانظر نفسه عن مصطلحات الاستعراب والاستشراق والاستفراق، ص ١٧ وما بعدها.

(٢) للمزيد انظر مثلاً:

José L. Gómez Martínez. "Américo Castro y Sánchez Albornoz, dos posiciones ante el origen de los españoles", Mexico: Nueva Revista de Filología Hispánica, tomo XXI, núm. ٢, ١٩٧٢, pp. ٣٠١-٣١٩; Historias de las dos Españas. Santos Juliá, Madrid: Taurus, ٢٠٠٤.

د . صالح عيظة الزهراني

من أجله عند كثير من هؤلاء المستعربين، فحقيقته عندهم أنه حضارة تشكلت في ظروف خاصة جداً، لا ينبغي ردها إلى الدين أو اللغة حصراً. ويدعم هذا التصور- من وجهة نظري-أنهلا تكاد تجد مستعرباً إسبانياً من بين كبار هؤلاء المستعربين وصغارهم، أوصلته حماسته للإسلام إلا ما ندر، رغم تعلقهم الشديد بكل ما هو أندلسي.

أما عن تاريخ الاستعراب الإسباني فلسنا بصدد اجترار ما كتب عنه، لكنها وقفة استذكار نحسبها مناسبة لترتيب الورقة، وضرورة للقارئ غير المختص بموضوعها. ولعل خير ما نصدر به هذا العرض الموجز رأي للمستعرب الإسباني خانتو بوش بيلا Bosch Vilá Jacinto (١٩٢٢-١٩٨٥م)، نعبد به الطريق إلى موضوع الورقة حين يجعل من الأمير الأندلسي عبد الرحمن الثاني (الأوسط، ١٧٦-٢٣٨هـ / ٧٩٢-٨٥٢ م) أول المستشرقين الإسبان المسلمين!^(١). هذا الرأي على طرافته ووجاهته معاً، مرآة للشعور القومي الإسباني الذي يؤسب الأندلس منذ السنين الأولى لاستقراره وانطلاقه نحو الحضارة، وعبد الرحمن الأوسط خير من يمثل هذه المرحلة. والحق أن بذور الاستعراب الإسباني قديمة قدم الحضارة الأندلسية نفسها، لكن القرن التاسع عشر يعد التدشين الفعلي لهمع خوسيه أنطونيو كوندي José Antonio Conde (١٧٦٦-١٨٢٠م) الذي يعود له الفضل في التعريف بتاريخ الأندلس وأدب الموريسكين، مروراً بإيميليو لافونتي ألكانترا Emilio LafuenteAlcántara (١٨٢٥-١٨٦٨ م) الذي دفع بالدراسات الاستعرايبية الإسبانية قدماً بنشره لوحد من أهم مصادر التاريخ الأندلسي وهو

(١) Jacinto Bosch Vilá. "El orientalismo Español: panorama histórico. Perspectivas actuales", En Boletín de la Asociación Española de Orientalistas, núm. ٣, ١٩٦٧, pp. ١٧٥-١٨٨, en especial, p. ١٧٧.

الأندلس والأدب الأندلسي

كتاب "أخبار مجموعة"؛ ناهيك عن كتابه الرائد الذي قدم فيه قراءة لنقوش قصر الحمراء، وغير ذلك من أعمال^(١).

أما الريادة الفعلية في هذا المضمار فتجبر لباسكوال ذي غايانغوس Pascual de Gayangos (١٨٠٩-١٨٩٧م)، لنقله الاستعراب الإسباني خارج حدود إسبانيا بتحريره لكثير من أعماله باللغة الإنجليزية. ولا يذكر هذا المستعرب حتى يشار معه لجهده في ترجمة أهم الموسوعات الأندلسية وهو كتاب "فتح الطيب"، في مغامرة كبيرة أوقفت المستعربين بعده، وعموم المهتمين، على تاريخ الأندلس عن كئيب. ومن تلامذة غايانغوس النجباء المشهورين يمكن أن نذكر فرانشيسكو فرنانديث إي غونثالث Fernández y González Francisco (١٨٣٣-١٩١٧م)، الذي عرف بحماسته الشديدة للماضي العربي في إسبانيا ودعوته لضرورة الاهتمام به رغم قلة الموارد، وقد أثمر جهده أعمالاً كثيرة منها ترجمته لكتاب "البيان المغرب" لابن عذاري، إضافة لتوفره على القضية الموريسكية وواقع المدجنين^(٢).

أما فرانشيسكو خابيير سيمونيت Francisco Javier Simonet (١٨٢٩-١٨٩٧م) فواحد من أعمدة التعصب في الاستعراب الإسباني ضد الحضارة الإسلامية الأندلسية، رغم ما قدمه لها من خدمات بحثية جليلة. لم يتنازل سيمونيت قط عن فكرة العرقية، فرفض عزو التفوق الحضاري الأندلسي للجنس العربي، معللاً ذلك بأنه عرق همجي ذو طبيعة رجعية تقصي العقل وتستسلم

(١) انظر الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني، عبد الواحد العسري، بيروت: دار المدار الإسلامي، ط٢، ٢٠١٥، ص ٦٢ وما بعدها؛ الحسين الإدريسي. "مسارات التحول في مواقف المستعربين الإسبان"، المغرب: مجلة العلوم الإنسانية، ع ٢٨، ٢٠١٦، ١٥٨-١٨٢.

(٢) انظر:

BernabéLópezGarcía. "Orígenes del arabismoespañol. La figura de Francisco Fernández y González y su correspondencia con Pascual de Gayangos". En Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuán, núm. ١٩-٢٠، ١٩٧٩، pp.٢٧٧-٣٠٦.

د . صالح عيظة الزهراني

للاهوت، وإنما النبوغ الأندلسي ثمرة للنسيج الثقافي المحلي. اهتم بتاريخ غرناطة الإسلامية، وشهر بتبريره لحادثة إحراق الكتب العربية في ساحة باب الرملة^(١). وعلى النقيض من سيمونيت، ينتصب فرانثيسكو قديرة ثايدين Francisco Codera y Zaidín (١٨٣٦-١٩١٧ م) مثالا للإنصاف إزاء الأندلس ونموذجاً للمحب الحقيقي له، ليتبعه جلة من المريدين تشكل بهم اتجاه كبير في الاستعراب الإسباني حمل اسمه (قديرة). كتب في تاريخ الأندلس، واهتم بدراسة النقود الأندلسية، ومن منجزاته موسوعته الضخمة التي ترجم فيها لغير قليل من علماء الأندلس.

ومن أبرز أعضاء مدرسة قديرة هذه، المستعرب الشهير خوليان ريبيرا Julián Rivera (١٨٥٨-١٩٣٤ م)، الذي عني بتاريخ الأندلس، وطرق موضوع الملاحم الشعرية فيها، وبحث موسيقاها وناقش تأثيراتها في نظيرتها الأوروبية. أثبت في إحدى دراساته أن نظام القانون العدلي في أراغون يعود في أصله إلى النظام الأندلسي في الحكم، وله إسهام في نشر تاريخ الأندلس بترجمته لكتاب "تاريخ افتتاح الأندلس" لابن القوطية^(٢).

(١) انظر:

Biografía del doctor D. Francisco Javier Simonet. Antonio Almagro Cárdenas, Granada, ١٩٠٤.

(٢) عن مدرسة قديرة، انظر:

Fernando de Ágreda. «Nuevas y viejas fuentes sobre los "Beni Codera"». En Miscelánea de Estudios Árabes y Hebraicos. Sección Árabe-Islam, Granada: núm. ٥٧, ٢٠٠٨, pp. ٤٢٥-٤٥٠; María Jesús Viguera. «Al-Andalus y España. Sobre el esencialismo de los Beni Codera». En: Manuela Marín. Al-Andalus/España. Historiografías en contraste, Madrid: Casa de Velázquez, ٢٠٠٩, pp. ٦٧-٨٢;

صالح السندي، "مدرسة كوديرا وتلاميذه الإسبانية، ودورهم في نشر وترجمة التراث الإسلامي في أوروبا"، مؤتمر الاستشراق ما له وما عليه، كلية العلوم والآداب بالرس، ج٢، ٢٠١٦، ص ص. ٩٦٩-٩٩٧.

الأندلس والأدب الأندلسي

ولقد اتسع نطاق الاهتمام بالدراسات الأندلسية في القرن العشرين على نحو ملحوظ، وبرزت أسماء حققت نقلة نوعية للاستعراب الإسباني. لكن الاسم العلم الذي يمثل النصف الأول من هذا القرن هو بلا شك تلميذ ريبيرا الفذ ميغيل آسين بالاثيوس Miguel Asín Palacios (١٨٧١-١٩٤٤ م)، فهو أيقونة في الاستعراب الإسباني لا لكثافة إنتاجه فحسب، بل للقيمة التي انطوت عليه، وهو أيضاً من مدرسة قديرة وخليفته في كرسي الدراسات العربية في مدريد. كرس جهده لدراسة الفلسفة الإسلامية والتصوف الإسلامي، وتوفر على مدرسة ابن مسرة الجبلي، وعني بابن حزم وابن عربي وغيرهما، لكن شهرته عالمياً تعزى إلى فرضيته النابذة حول الأصول الإسلامية للكوميديا الإلهية لدانتي. ومن تلامذته المميزين آنخل غونثالث بالنثيا Ángel González Palencia (١٨٨٩-١٩٤٩ م)، الذي كتب عن تاريخ الأندلس وأثر الحضارة العربية في العصر الوسيط، لكن تظل موسوعته ذائع الصيت عن الفكر الأندلسي يأهم إنجازاته وأكثرها شهرة^(١).

وهناك أسماء استعرابية مميزة لمعت في هذا العهد وبعده، على رأسها إيميليو غارثيا غومث، وبيدرو مارتينيث مونتابيث، وفيديريكو كورنيتي، وخوسيه ميغيل بيلشيث وغيرهم ممن لا يمكن الإشارة إليهم جميعاً لكثرتهم من جهة وتنوع مساراتهم البحثية من جهة أخرى، لكن سنلح لبعضهم ونحيل للمراجع لزيادة المطالعة. ولا يبعد عن الحقيقة أن يُعد إيميليو غارثيا غومث Emilio García Gómez (١٩٠٥-١٩٩٥ م)، وهو آخر بني قديرة، أستاذ المستعربين الإسبان وأشهرهم على الإطلاق. لقد امتاز بمقدرة عالية على التعبير الكتابي منحتة الصدارة بين أقرانه، وذاعت ترجماته للتراث الأندلسي على نحو خاص كـ "طوق

(١) انظر الحسين الإدريسي. "مسارات التحول في مواقف المستعربين"، ص. ١٧٠؛ الإسلام

في تصورات الاستشراق الإسباني، عبد الواحد العسري، ص. ٢١٩ وما بعدها؛

Fernando de Ágreda Burillo. "Don Ángel González Palencia: ١٨٨٩-١٩٤٩, Apuntes biográficos". Anaquel de Estudios Árabes, IX, ١٩٩٨, ٢١٥-٢٣٨.

د . صالح عيظة الزهراني

الحمامة" لابن حزم، و"رايات المبرزين" لابن سعيد، علاوة على ترجماته الفريدة لقصائد أندلسية ودراساته عن الحمراء وبعض شعرائها، وغير ذلك مما ينظر إليه على أنه جهد متفرد في مدرسة الاستعراب الإسباني^(١).

ومن الأسماء الباقية على قيد الحياة حتى إعداد هذه الورقة يبرز بيدرو مارتينيث مونتافيث Pedro Martínez Montávez (١٩٣٣-٢٠٠٠م)، وهو قيمة معرفية كبيرة ونموذج للمستعرب الناضج والمؤثر. تجمعه بالعالم العربي علاقة وثيقة؛ فهو عضو في مجمع اللغة العربية بعمان، وفي جمعية أصدقاء فلسطين وغيرهما، وعرف بترجمته الكثيرة لشعراء الوطن العربي في العصر الحديث، وكتب عن الواقع العربي كتباً توحى بتوازن كبير ووعي حقيقي وتعاطف صادق نال به جائزة زائد لشخصية العام الثقافية ٢٠١٦م. من أعماله العميقة عن الأندلس كتاب: معنى الأندلس ورمزيته؛ الأندلس وإسبانيا في الأدب العربي الحديث، وغير ذلك.

ومن الأسماء اللامعة على مدار السنوات العشر الأخيرة على الأقل، يمكن أن نذكر خوسيه ميغيل بورتا بيلتشيث Miguel PuertaVílchezJosé (١٩٤٤-٢٠٠٠م)، المتخصص في الجماليات الإسلامية. درس جماليات العمارة والخطوط والزخارف وعلاقتها بالتصوف والفلسفة، خاصة في قصر الحمراء الذي بدا اهتمامه به استثنائياً ليتوجه بعمل هو أشمل ما كتب عن نقوشه: "قراءة الحمراء". وله دراسات عن فلسفة ابن طفيل وابن عربي وابن رشد، وألف في جماليات الفكر العربي، وغير ذلك^(٢).

(١) انظر عن جهود غارثياغومث، الاستعراب الإسباني وجاذبية الحضارة الإسلامية في الأندلس. قراءة في أعمال المستعرب إيميليو غارثياغوميث، محمد العمارتي عمان: دار الجنان، ٢٠١٤.

(٢) Significado y símbolo de al-Andalus; Pedro Martínez Montávez, Almería: Fundación Ibn Tufayl, ٢٠١٣; Al-Andalus, España, en la literatura árabe=

الأندلس والأدب الأندلسي

والواقع أنه لا يمكن المرور بالاستعراب الإسباني دون التعرّيج على التجربة النسائية فيه، على اعتبار ما بلغت المستعربات الإسبانيات اليوم من شأو في ميدان البحث العربي والأندلسي خاصة. وتعود التجربة الإسبانية النسائية في مجال الاستعراب للنصف الأول من القرن العشرين مع خواكينا إغواراس إبانيث Joaquina Egvaras Ibáñez (١٨٧٩-١٩٨١ م)، تلميذة إيميليو غارثيا غومث الذي أشرف على أطروحتها للدكتوراه عن رسالة في الفلاحة لابن ليون التجبيري عام ١٩٤٤م، وهي أول امرأة تلتحق بجامعة غرناطة التي أقامت لها نصباً تذكاريّاً يخلد هذه الأسبقية. ومن تلاميذ ميغيل آسين بالاثيوس وإيميليو غارثيا غومث معاً، تأتي سوليداد خيبيرت Soledad Gibert Fenech (...-٢٠٠٠ م)، التي نالت درجة الدكتوراه عن دراستها للشاعر الألبيري ابن خاتمة بإشراف غارثيا غومث نفسه، ومن الأسماء المعروفة أيضاً مانويلا مانثاناريس Manuela Manzanares (١٩١٠-٢٠٠٤ م)، وتعود شهرتها لكتابها الذي يوثق مسيرة الاستعراب الإسباني في القرن التاسع عشر، وهو في الأصل رسالتها للدكتوراه^(١). أما سوليداد كاراسكو أورغويتى Soledad Carrasco Urgoiti (١٩٢٢-٢٠٠٧ م)، فانصب اهتمامها على القضية الموريسكية، وقدمت دراسة فريدة عن صورة المسلم في الأدب من القرن الخامس عشر للقرن التاسع عشر ميلادي^(٢).

=contemporánea, Pedro Martínez Montávez, Madrid: Mapfre, ١٩٩٢; Historia del Pensamiento Estético Árabe: Al-Andalus y La Estética Árabe Clásica, José Miguel Puerta Vilchez, Granada: Universidad. ٢٠١٨; Leer la Alhambra, José Miguel Puerta Vilchez, Almería: Fundación Ibn Tufayl, ٢٠١٠.

(١) عن هؤلاء الرائدات، انظر:

Maribel Fierro. "Las pioneras del arabismo español" En al-Ándalus y la Historia,

<http://www.alandalusylahistoria.com/?p=١٠٢٧>

(٢) عنها انظر:

Emilio de Santiago Simón. "In memoriam Soledad Carrasco Urogoiti (١٩٢٢-٢٠٠٧)"

En MEAH, Sección Árabe-Islam ٥٦ (٢٠٠٧), ٢٧٩-٢٨٠.

د. صالح عيظة الزهراني

وتعد ماريًا خيسوس روبيرا ماتا María Jesús Rubiera Mata (١٩٤٢-٢٠٠٩ م)، واحدة من المستعربات المنهكات في الأدب الأندلسي والمهتمات بالجانب النسوي منه. كتبت عن ابن زمرك الغرناطي، وكشفت عن ابن الجياب وتناولت العمارة في الأدب العربي، وألفت في نقوش قصر الحمراء ودرست الخرجات الأعجمية وغير ذلك كثير^(١).

أما أشهر المستعربات على الإطلاق فلعلها ماريًا خيسوس بيغيرا María Jesús Viguera Molins (١٩٤٥-٢٠٠٠ م)، وربما تكون رأس المستعربين في الوقت الراهن بعد رحيل غارثيا غومث. تخصصت في تاريخ الأندلس فكتبت عن الإمارات والطوائف، وعصر المرابطين والموحدين وغيرهم، وعنيت بالمواضع الأندلسية وكثير من الأسر والشخصيات، وتناولت ظواهر تاريخية وثقافية مختلفة^(٢).

أما تجربة ثيليا دل مورال مولينا Celia del Moral Molina (١٩٠٠-٢٠٠٠ م) فتميز بغزارتها من جهة، وتوفرها الشديد على شعر المرأة الأندلسية من جهة أخرى، كما كانت وفية جدًا لمدينتها غرناطة فكتبت عن أدبائها الأندلسيين وعن شعر المرحلة النصرية خاصة، وتناولت المجالس الأدبية الأندلسية وبعض الظواهر البلاغية في الشعر الأندلسي، كما لامست الأدب المقارن انطلاقًا من الأدب الأندلسي والعربي عامة^(٣).

(١) عنها انظر:

Luis Fernando Bernabé Pons y José Francisco Cutillas Ferrer. "Necrológica. María Jesús Rubiera Mata (١٩٤٢-٢٠٠٩)". En Sharq Al-Andalus. Estudios mudéjares y moriscos, Universidad de Alicante, núm. ١٩, ٢٠٠٨-٢٠١٠, pp. ٣٣٧-٣٤٩.

(٢) عنها انظر:

<http://www.mcnbiografias.com/app-bio/do/show?key=viguera-molins-maria-jesus>

(٣) عنها انظر:

<http://www.cabei.es/miembros-del-grupo/٤٩-celia-del-moral-molina.html>

الأندلس والأدب الأندلسي

ومن المستعربات المبرزات تطالعنا تيريسا غارولو Teresa GaruloMuñoz وقد عنيت بالأدب الأندلسي أيما عناية؛ ومن أشهر أعمالها فيه كتابها عن شاعرات الأندلس، وترجمتها لشعرهن. كما تناولت المجون في الأدب الأندلسي وكتبت عن عروض الشعر الأندلسي، وترجمت بعض المعلقات الجاهلية، وغير ذلك من الأعمال التي نقل بعضها العربية^(١).

ومن الأسماء التي يمكن ذكرها في هذا السياق لويسا ماريا أريبيدي كامبرا Luisa María Arvide Cambra (١٩٥٦-م...م)، وتعد من أوائل المهتمين بشعر المقامات العربية في الغرب، وهي غزيرة الإنتاج، نشرت أعمالاً عديدة عن الجهود الطبية الأندلسية للزهراوي وابن خاتمة، وتناولت ابن ليون والبلافيقي وابن سبعين. أما كارمي بارثيلوه توريس Carme Barceló Torres (١٩٤٩-م...م)، فقد شغلت في بحوثها بمدينة بلنسية التي عملت أستاذة في جامعتها؛ فكتبت عن تاريخها ونقوشها وبعض شعرائها^(٢).

وبعد، فهذه إطلالة المتعجل، وقفنا فيها على نزر قليل في مدرسة الاستعراب الإسباني، طلباً للمنطقية البحثية وخدمة للقارئ. وعلى كثرة الأعمال التي تؤرخ لهذا الاستعراب أو تناقشه، ما زال في البحث متسع للمزيد، ولعل تجربة المستعربات الإسبانيات تستحق أن تفرد بالبحث والتأمل.

قومية المستعرب ونموذجية الأندلس

إن واقع الاستعراب الإسباني اليوم والحماسة الكبيرة التي تُلّف شريحة واسعة من المستعربين حيال ما هو أندلسي؛ لمحل دهشة وفضول في آن واحد؛ فالدافع

(١) عنها انظر:

<https://www.todostuslibros.com/autor/garulo-teresa>

(٢) عنهما انظر:

https://es.wikipedia.org/wiki/Carme_Barcel%C3%B3_Torres

https://es.wikipedia.org/wiki/Luisa_Mar%C3%ADa_Arvide_Cambra

د. صالح عيظة الزهراني

البحثي المعرفي لا يكفي وحده لتفهم هذه الحماسة بصفة عامة. ومن واقع تأمل وملاحظة، قدّرت وجود عاملين اثنين يمكنهما الإسهام بطريق أو بآخر في تفسير هذه الظاهرة وتقريبها، لفاعليتهما في تشكيلها من جهة واستدامتهما في ثلثة معتبرة من المستعربين الإسبان من جهة أخرى. وللعلم، فإشارات لما نتغيا طرحه تفرقت - حسب علما- في بعض الدراسات لكنها بقيت شتاتاً منكمشة دون مزية تكريس حقيقي^(١)، وأنا لنزعم النظر إلى الموضوع من زاوية أوسع تعمق الشعور بهذه الظاهرة وتفتح الباب لنقاش أشمل، إذ الإحاطة ليست من مهمات الورقة الحاضرة ولا أهدافها. هذان العاملان هما:

أولاً: القومية:

القومية مصطلح جامع يمكنه في هذا السياق مقابلة عدة مصطلحات راجت في الأوساط البحثية الاستعرابية الإسبانية من قبيل: Hispanismo، و Iberismo، و Andalucismo، (الإسبانية، الإيبيرية، الأندلوثية)، وهي بدورها قادرة على أن تحيل إلى مفاهيم المكان والثقافة والعرق والدين أيضاً.

إن ثنائية إسبانيا - الأندلس ليست بدعة مستحدثة، ولعل جهود الراهب خوان أندريس في القرن الثامن عشر تعد مقدمة جيدة لغيره، وهو يرصد تأثيرات الآداب العربية في أوروبا عامة وإسبانيا خاصة، فمهد السبيل للاستعراب الإسباني الحديث عند كوندي وألكانترا وغاياتاغوس في القرن التاسع عشر (أي قبل جدلية القرن العشرين الشهيرة بين أميريكو كاسترو وسانتشيث البورنو)، مروراً بمدرسة قديرة العريقة، ووصولاً لنهاية القرن العشرين وإلى أيامنا هذه من الألفية الثالثة وما يندرج فيهما من أسماء تغايرت مداخلها وتوجهاتها في النظر للحضارة الأندلسية.

(١) انظر بعض هذه الإشارات في:

صالح السندي، "مدرسة كوديرا وتلاميذه الإسبانية"، ص ٩٩٦؛ الأندلس برؤى استعرابية، محمد العمارتي، ص ٣٩ وما بعدها؛ الحسين الإدريسي، "مسارات التحول"، ص ١٦٧.

الأندلس والأدب الأندلسي

لقد تفانى حشد من المستعربين الإسبان في لفت الانتباه إلى إسبانية الأندلس في نوع من التأميم للحضارة العربية والإسلامية في شبه الجزيرة الإيبيرية، ليكون الموقف البحثي حوارًا مع الذات كما يقرر أحد الدراسين^(١)، تتحاز به الأقلام إلى هذه الذات متحامية أصالة المركب العربي الإسلامي في الأندلس وما وعرفًا. فهذا خوليان ريبيرا يرسي مشروعه لأسبنة الأندلس بنظريته الشهيرة حول تساؤل الدم العربي مع مرور السنين في الإنسان الأندلسي، وغلبة الدم الإسباني في تكوينه، وحين كان عليه أن يبرر رسمية اللغة العربية ومظاهر الثقافة الإسلامية، جعل الأمر كمن يقذف مادة ملونة في بركة ما، تزيّف لونه ولا تأتي على جوهره، وصولًا للقول بأن الأندلس حضارة إسبانية في جوهرها بصبغة عربية لا أكثر^(٢).

هذا الطرح وجد طريقه إلى كثير من الدوائر البحثية الإسبانية المحفّية بالأندلس في ثوبه القومي؛ فهذا إغناثيو أولاغوي في كتابه الشهير *Los árabes no invadieron jamás España* "العرب لم يغزوا إسبانيا" يلغي فكرة الفتح العربي للأندلس وأن الحكاية لا تعدو حربًا أهلية اندلعت بين أفراد البيت الواحد، ويشير لقوطية طارق بن زياد وغربية عبد الرحمن الداخل وإسبانية الحضارة الأندلسية!^(٣) ما يعني انغراس الفكرة في نفوس هؤلاء الباحثين الإسبان وشدة تيقنهم منها لدرجة الجراءة البحثية حيال المستقرات التاريخية. وهناك عبارات شهيرة لجلة من هؤلاء المستعربين تحكي تمسكهم الشديد بهذه الحضارة ونسبتها إليهم. فهذا غارثيا غومث يشرح دافعه في ترجمة كتاب بروفنسال عن تاريخ الأندلس، فيقول عن

(١) الأندلس برؤى استعرابية، محمد العمارتي، ص ٣٧ وما بعدها.

(٢) *Disertaciones y opúsculos*, Julian Rivera, Madrid: E. Maestre, ١٩٢٨, I, p. ١٦.

(٣) انظر ماريا خيسوسبيغيرا. "الإمارة والخلافة والطوائف، مراجعة تاريخية"، في أبحاث مؤتمر في الحضارة الأندلسية بين عامي ٧١١-١٦١٦م من عرب إلى موريسكيين. جزء من تاريخ إسبانيا، قرطبة ٢٠١١، ترجمة: سري عبد اللطيف، وجمال عبد الرحمن، الكويت، ٢٠١٤، ص ص ٢٣-٥٢، خاصة ص ص ٢٩-٣٠.

د . صالح عيظة الزهراني

المؤلف: "صديق عظيم لإسبانيا، وقد وجه جهده للتقريب في ماضينا، ولم يكتب سطرًا واحدًا يجرح شعورنا"^(١)، ويعبر آنخل بالنتيا بقوله: "هؤلاء كانوا أجدادنا، من جنسنا، وليس عدلاً أن نجردهم من إسبانيتهم لمجرد أنهم كانوا مسلمين"^(٢).
ومن مظاهر هذا التأميم غياب مصطلح الأندلس غالبًا، ولا أظنه إلا متعمدًا، وبروز بدائل ذات صبغة قومية تشترك لفظ "إسبانيا" و "أندالوثيا" ومشتقاتهما مع نظيراتها: "عرب" أو "إسلام" ومشتقاتهما من مثل: España musulmana (إسبانيا الإسلامية)؛ Andalucía (أندالوثيا)، Arábigo-andaluz (عربي أندالوث)... إلخ، أو بالإشارة إلى العصر الوسيط الإسباني España medieval الذي يعني في سياقه "الأندلس" غالبًا. وقد يعلل بعضهم بأن مصطلح Andalucía وما يشتق منه مثلًا، كان المقابل الإسباني لمصطلح "الأندلس" عندهم، ولا ينبغي تحري أية أسباب أخرى وراء هذا الاختلاف؛ فهما شيء واحد. والحق أن مصطلح al-Andalus ثبت على الأقل عنوانًا على بعض الأعمال الإسبانية في حقبة مبكرة من الاستعراب الإسباني الحديث، خاصة تلك المتوفرة على تحقيق المصادر الأندلسية^(٣) ما يعني إحاطتهم به، ولا أظن العدول عنه إلا متعمدًا من أجل طرح

(١) تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية. إفارست ليفي-بروفنسال، ترجمه للإسبانية: إيميليو غارثيا غومث، نقله للعربية: علي البمبي وأخران، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠، ص ٩.

(٢) دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة. الطاهر أحمد مكي، مصر: دار المعارف، ط٥، ١٩٨٧، ص ١٩٩.

(٣) انظر مثلًا

Thekr al Andalus, Descripción de España de Xerif Aledris, conocido por El Nubiense, Sherif Aledris. con traducción y notas de José Antonio Conde, Madrid: Guillermo Blázquez, ٢٠٠٣. Ed. original Madrid: Imprenta Real, ١٧٩٩.

وفي كتابه الحديث AlAndalus y lo andaluz (الأندلس وما هو أندلوث) يورد خوسيه ألكانتوز صورًا من جناح إسبانيا من المعرض العالمي الذي أقيم في فرنسا العام ١٩٠٠م، =

الأندلس والأدب الأندلسي

بديل قومي موجود على الأرض فعلياً. إذن، فعروبة اللفظة وما تتطوي عليه من دلالة، كان السبب في تقديري-في أن يستبدل به ما يحفظ النزعة نحو الأسبنة والتأميم، وسنرى أنه حتى في الأجيال اللاحقة في هذا الاستعراب حين برز على السطح استعمال مصطلح "الأندلس" و "أندلسي" وما شابهما؛ بقي محتفظاً بهذه النزعة غالباً. والغريب أن نجد أستاذاً عربياً يعمل بجامعة إسبانية يؤلف كتاباً عن شواعر الأندلس ويوظف فيه مصطلح arábigoandaluzas رغم أنه معاصر من جهة ومدرك في الغالب لأبعاد هذا المصطلح من جهة أخرى^(١)!

وما يحسن التنبيه إليه هو أن بين المصطلحين: /al-AndalusAndalusí/ (أندلسي/الأندلس)، و Andaluz/Andalucía (أندلوثيا/أندلوث)، تبايناً كبيراً على الأقل في مفهومنا الشخصي؛ فالأول يشار به إلى ما يتعلق بالأندلس المعروفة منذ الفتح العربي لشبه الجزيرة الإيبيرية وحتى سقوط غرناطة نهاية القرن الخامس عشر الميلادي وما تكتنز من فكر وحضارة، والثاني يخص الإقليم الجنوبي من إسبانيا اليوم وتندرج فيه الثقافة الجنوبية الإسبانية عامة في مقابل نظيراتها في الأقاليم الأخرى في العصر الحديث، مع الأخذ بالاعتبار أن خريطة الأندلس التاريخية ليست خريطة أندلوثيا الحالية؛ فبلنسية مثلاً، التي كانت من أهم أقاليم

=وفيها تظهر عبارة "الأندلس" مع رسومات تعبر عن الماضي العربي الأندلسي، ما يعني أن المصطلح كان معروفاً منذ مدة مبكرة، ولا شك أن الاستعراب الإسباني تأثر بنظيره الفرنسي وأن استبدال هذا المصطلح كان مقصوداً لغاية قومية. انظر:

Al Andalus y lo andaluz. José Antonio González Alcantud, Córdoba: Almuzara, ٢٠١٧, p.٣٠٠.

(١) Poetisas Arábigoandaluzas. Mahmud Sobh, Granada: Diputación Provincial, s.d.

د . صالح عيظة الزهراني

الأندلس التاريخي، ليست اليوم ضمن إقليم أندلوثيا، بل هي قومية مستقلة بنفسها^(١).

وليس من قبيل المصادفة أن يبرز الوصف بـ "أندلوث" ويتأخر الوصف بـ "أندلسي" عند غير قليل من المستعربين الإسبان في تناولهم للثقافة الأندلسية، بالرغم من الاختلاف الصريح بين المصطلحين، وليس هذا من وجهة نظري-إلا من وحي انجذاب ضاغط نحو تأميم الأندلس أو لنقل أسبنته على نحو ما. لهذا طالما نجد عبارات بعضها على شاكلة andaluz و arabigo- andaluz ، في وصف كل أو جزء من الحضارة الأندلسية كما سنرى.

ويكفي الاكتراث بعناوين كثير من الدراسات في حقل الاستعراب الإسباني لتصور ما تضره من نزعة تغييب للأندلس والتعويض عنه بعبارات أخرى ذات بعد تأميمي، وسنجد ذلك يمتد إلى ما له علاقة بالأدب الأندلسي بوصفه مكوناً بالغ الدلالة في الحضارة الأندلسية أو "الإسبانية"، ومن أمثلة ذلك عنوان أطروحة خابيير فرانثيسكو سيمونيت في القرن التاسع عشر El siglo de oro de la literaturearábigo-española (القرن الذهبي للأدب العربي-الإسباني). وهذا ريبيرا نفسه، يعنون بعض دراساته: La enseñanza entre Bibliófilos y losmusulmanesespañoles (التعليم بين المسلمين الإسبان)؛ وBibliotecasen la España Musulmana (المثقفون والمكتبات في إسبانيا الإسلامية)؛ وÉpicaandaluzaromanceada, Estudio del cancionero de Abencuzmán (الملحمة الأندلوثية في شكل الرومانثي، دراسة في زجل ابن قزمان) وحتى ترجمته لكتاب ابن القوطية الشهير جاءت محورة تحويراً لا تبرره

(١) في كتابه سالف الذكر، يفرق خوسيه أنطونيو ألكانتود بين الأندلس وأندلوثيا على المفهوم

الذي تبنته هذه الدراسة، انظر

Al Ándalus y lo andaluz. José Antonio González Alcantud,p.١٣ nota ٤.

الأندلس والأدب الأندلسي

غاية علمية واضح بقدر ما هو هوس التأميم ونزعة الأسبنة: Historia de la conquista de España de Abenalcotía (تاريخ افتتاح إسبانيا لابن القوطية)؛ فعنوان الكتاب الأصلي "تاريخ افتتاح الأندلس".

والواقع أن هذا الحس القومي من الرسوخ بحيث يبدو شاملاً لجميع أطياف المستعربين الإسبان؛ فهذا فرانثيسكو قديرة نفسه الذي يعد من أكثر المستعربين إنصافاً للأندلس يتخير عناوينه على النحو التالي: Cecasarábigoespañolas (السكة العربية الإسبانية)؛ Títulos y nombrespropios en las monedas arábigoespañolas (عناوين وأسماء أعلام في النقود العربية الإسبانية)؛ Tratado deNumismáticaArábigo Española (المكتبة العربية الإسبانية)؛ ولا يخفي الحجب التام لمصطلح الأندلس الذي يغني بالطبع عن هذه التراكيب المصطنعة. ولعل من أوضح الأمثلة على نصرنة الأندلس وأسبنته معاً أعمال ميغيل آسين بالاثيوس سالف الذكر؛ إذ لم يأل جهداً في رد مظاهر فكرية أندلسية إلى أصول مسيحية وإسبانية تجعل من إسلامية الأندلس وعروبته صبغة انتهت إليه من التراث النصراني والأوروبي. ولعل كتابه El Islam cristianizado (الإسلام في ثوب المسيحية)، مثال مباشر لهذا الربط بين الإسلام والمسيحية؛ ناهيك عن كم اعتداده بالعلماء الأندلسيين خاصة في مجال الفلسفة والتصوف بوصفهم إسباناً أفادوا من تراثهم المسيحي في بناء ثقافتهم الأندلسية، كابن حزم وابن مسرة وابن عربي وغيرهم. وفي تناوله لتراث ابن حزم الأندلسي ما يعكس هذا التوجه نحو سلب الأندلس أصوليتها الفكرية الشرقية؛ ولقد عد طوق الحمامة مثلاً على تأثير الأفلاطونية الحديثة والمسيحية في فكرة الحب الروحي المتسامي على لوازم المادة والجسد^(١)، هذا إضافة إلى بعض عناوين بحوثه التي تحاول ترسيخ فكرة إسبانية

(١) انظر: =

د . صالح عيظة الزهراني

الأندلس، نابداً مصطلح الأندلس ومستعيضاً عنه بثنائيات من قبيل: عربي - إسباني، مثل دراسته *Contribución a la toponimia árabe de España* (إسهام في دراسة المواضع العربية في إسبانيا)؛ أو إسبانيا-الإسلام: *La indiferencia religiosa en la España musulmana. Según Abenhazam, historiador de las religiones y las sectas* (اللامبالاة الدينية في إسبانيا المسلمة. وفقاً لابن حزم مؤرخ الأديان والطوائف الدينية).

وفي الموسوعة القيمة عن تاريخ الفكر الأندلسي، يصف غونثالث آنخل بالنثيا ابن زمرك الغرناطي بأنه آخر الشعراء الإسبان المسلمين، وابن عبد ربه بأنه المؤلف الإسباني الأقدم، ويقول عن الشاعر الغزال إنه إسباني على الأرجح، وينقل عن غارثيا غومث أن المعتمد بن عباد كان راعياً لكل شعراء إسبانيا، مع أن المقصود شعراء العربية في الأندلس تحديداً^(١). والجدير بالذكر أن مصطلح إسبانيا هذا غير دقيق -فيما أحسب- حينما يشار به لمرحلة العصور الوسطى؛ ذلك أنه لم يتشكل على أرض الواقع إلا بعد سقوط غرناطة، وكانت شبه الجزيرة الإيبيرية في مرحلة الحكم العربي ممالك مسيحية غير موحدة إضافة للأندلس طبعاً. وفي ظني أن المغزى من تكرار التعبير بمصطلح إسبانيا، ليس سعياً من هؤلاء المستعربين الإسبان لترسيخ مبدأ وحدتها في ظل تنوع القوميات فيها؛ بل لتحاشي استخدام مصطلح "إيبيريا" -أو "إيبيري"- الذي هو أدق من "إسبانيا" -أو "إسباني" -في هذا السياق؛ لأن إيبيريا تضم البرتغال أيضاً وهي كذلك الأندلس

=Don Miguel Asín Palacios. *Mística cristiana y mística musulmana*, J. Valdivia Valor, Madrid: Hiperión, ١٩٩٢; Rafael Ramón Guerrero. "Miguel Asín Palacios y la filosofía musulmana", *Revista Española de Filosofía Medieval*, ٢, ١٩٩٥, pp. ٧-١٧.

(١) *Historia de la literatura árabe-española*. González Ángel Palancia, Barcelona: Labor, ١٩٤٥, pp. ٧٤, ١١٢, ١٢٧.

الأندلس والأدب الأندلسي

في حدودها الجغرافية الكاملة، ما يعكس حدة القومية في البحث العلمي لمستعربي إسبانيا ولو كان على حساب الدقة في استعمال المصطلح أحياناً.

لقد عنون آنخل غونثالث بالنثيا موسوعته الضخمة بـ *La literaturaarábigo-española* (حرفياً تعرب: الأدب العربي الإسباني)، ضارباً عن التصريح بـ *(andalusí)*، على اعتبار أن الوصف بعربي أو إسلامي متبوعاً بإسباني أو "أندلوئي" مثلاً لا يعطي الأهمية الكبرى للعربي ولا للإسلامي لأنها مجرد أصباغ وملونات لا جواهر، كما انتهى إلى ذلك ريبيرا في نظريته. وأميل لقصدية الانتقاء المصطلحي عند المؤلف في واجهة كتابه الموسوعي الضخم هذا، ليؤكد على فكرة إسبانية الأندلس بالنظر لأصول متفقيه وأدبائه ومركزاتهم الثقافية دون اكرتاث حقيقي بلغة التعبير (العربية)، وإن كان المرحوم حسين مؤنس قد أعاد "الأندلس" للواجهة في ترجمته للكتاب (تاريخ الفكر الأندلسي)، ليس من قبيل إعادة الاعتبار للأندلس فقط، بل عطفاً على محتوى الكتاب نفسه، ولا أظن بالنثيا يرضى تماماً عن هذه الترجمة لأنه لو أراد إثبات وصف "أندلسي" لفعله من تلقاء نفسه.

والحق أن ديدن آنخل غونثالث بالنثيا في عناوينه إقصاء مصطلح "أندلس" والتعويض بما يحقق قصدية التأميمية القومية، ومن عناوينه: *Historia de la España musulmana*، تاريخ إسبانيا الإسلامية؛ *Moros y Cristianos en España Medieval. Estudios Histórico-Literarios* إسبانيا العصر الوسيط، دراسات تاريخية أدبية؛ *El amor entre los musulmanes españoles* الحب بين المسلمين الإسبان. وهو نفسه يستعير خوليان ريبيرا في موضع من كتابه، في سياق الحديث عن إحدى الملاحم التي وردت عند ابن القوطية الأندلسي، فيصفها بـ "الأندلوئية"، والمجتمع الذي نشأت فيه بـ "الأندلوئ"

د . صالح عيظة الزهراني

الذي يحب لغته وقضاياه^(١). وإذا كان مبررًا التأكيد على قيمة السياق الثقافي المحلي وأثره في الفكر الأندلسي؛ يبقى إغفال عبارة "أندلسي" -وهي دالة تمامًا على المقصود- أمرًا ملحوظًا.

والأمر ذاته ينطبق على إيميليو غارثيا غومث؛ فقد انحاز لمصطلحات "أندلوثيا" و "أندلوث" على حساب "الأندلس" حتى مع شيوع المصطلح في اختيارات المستعربين من الأجيال اللاحقة له؛ إذ هو لا شك مخضرم؛ فهذا عمله Andalucía contra Berbería (أندلوثيا ضد العدو البربرية)، يجسد الشعور بالقومية والحماسة لها من جهة مقابلة الجنوب الإسباني بإفريقيا والمفاخرة بوطنه من خلال كتابات ورسائل أدبية تعلي شأن الأندلس. وهو نفسه يترجم عنوان رسالة الشقندي الأدبية "رسالة في تفضيل الأندلس على برّ العداوة": Elogio del Islam español (مدح الإسلام الإسباني)؛ ولا يخفى ما لحق العنوان الأصلي لهذا العمل الأدبي الأندلسي من تشويه بين لدواعٍ غير علمية ألبتة. وفي معرض حديثه عن الأندلس وتأكيديه على مبدأ التسامح فيه مثلاً، وعلى تفوقه الحضاري وأنه في حالميته ك " ألف ليلة وليلة"؛ نجد غارثيا غومث يستدرك فيقول لكنه بلا وحشية الشرق، بل هو غربي اللطف^(٢).

وما يحسن التعرّيج عليه في هذا العرض هو أنه في مرحلة تالية من تاريخ الاستعراب الإسباني كما أسلفنا، راج بين المستعربين الإسبان توظيف مصطلح "الأندلس" وعدم استبعاده أو استبداله كما فعل من سبقهم. لكن هذا لا يعني انقلاباً فكرياً على أسلافهم؛ فالحال أن هؤلاء المستعربين لم يتخلوا في جملتهم عن فكرة التأميم والأسبنة، وإن كانت النزعة لنصرنة الأندلس قد تراجعت كثيراً. تأمل ما

(١) Historia de la literatura árabe-española. Ángel González Palencia, Barcelona: Editorial Labor, S.A, ٢ ed., ١٩٤٥ p. ٣٥١.

(٢) Poemas árabeandaluces. Emilio García Gómez, Madrid: Espasa-Calpe, ١٩٥٩, p.٢٨.

الأندلس والأدب الأندلسي

يقول المستعرب الإسباني مانويل فرانسيسكو رينا Manuel Francisco Reina في كتابه *Antología de la poesía andalusí* "مختارات من الشعر الأندلسي": "كل المجالات الثقافية والاجتماعية والبنوية والمدنية باستعمالاتها وعاداتها الإسبانية، وفي حالات كثيرة الأوروبية، تعود في أصولها لهذه الظاهرة الثقافية والتاريخية... التي تسمى الأندلس وتنتهي إلينا وإلى العالم. لقد آن الأوان لنعيد التعرف على أنفسنا من خلال أسلافنا، ونفخر باستعادة الحلقة المفقودة لثقافة غنية ومتعددة. ذلك بيد الجميع"^(١). إنها دعوة قومية للتعرف على الذات من خلال الأندلس، لكن لا شك أن المعني هي الأندلس المفصلة على القومية الإسبانية التي هي -في فهمهم- جوهر الأندلس الأكبر والأهم، الذي ظل مغيباً بخطأ اعتباره دخيلاً وغريباً.

وهذه ثيليا ديل مورال مولينا مثلاً شديدة الاعتداد بالماضي الأندلسي وكثيرة التوظيف لمصطلح "الأندلس" و "الأندلسي" في دراسات مثل: *Contribución a la historia de la mujer a partir de las fuentes literarias andalusíes* (مساهمة في تاريخ المرأة من خلال المصادر الأدبية الأندلسية)؛ لكنها في دراسات أخرى تستبدل بلفظ "أندلسي" لفظ "أندلوث" *La imagen de la mujer a través de "أندلوث"* (صورة المرأة من خلال الشعراء العرب الأندلوثيين، ق ٨-١٥م)، ومثله *La mujer árabe en Andalucía durante la Edad Media: estado de la cuestión de los trabajos publicados hasta el momento* (المرأة العربية في أندلوثيا، واقع الدراسات المنشورة حتى اللحظة). هذا التباين في استعمال المصطلحين عند الباحثة ذاتها وفي الإطار نفسه، يبعث على التأمل في المغزى وراء هذا التباين بعد أن راج في الدراسات

(١) *Antología de la poesía andalusí*. Manuel Francisco Reina, Madrid: Edaf, ٢٠٠٧, pp.٩٦.

د . صالح عيظة الزهراني

الاستعرابية الإسبانية مؤخرًا مصطلح "أندلس/أندلسي" الذي اعتادت الباحثة نفسها توظيفه في دراساتها عن الأدب الأندلسي خاصة. إن مصطلح "الأندلس" و"أندلسي" لا يمكن أن يكون مرادفًا لأندلوث أو أندلوثيا لما قدمنا من اعتبارات، ولعل الباحثة تسامحت في المصطلح غير الدقيق (في الوقت الذي لم تكن مضطرة إليه وهي تناقش أدب الأندلس ذات الحدود التاريخية المعروفة من قبل أن تتشكل ما تسمى أندلوثيا الحالية أصلًا)؛ مراعاة للشعور القومي أو نزعة إليه؛ فبحثها الثاني الذي وظفت فيه أندلوثيا نشر عن طريق Junta de Andalucía (جمعية أندلوثيا)، وهي جمعية مرموقة ومعتبرة، ولا أراها إلا مجاملة خارجة عن أعراف البحث العلمي. والواقع أن القارئ للمقالين يجد الدارسة تعنون بـ "أندلوث" ثم سرعان ما تعود لاستعمال "أندلس/أندلسي" منذ الأسطر الأولى وهي تريد الشيء ذاته في العموم، ما يقوي فكرة الملاطفة من جهة، ويدل على أن دل موراللا تنطلق من مفهومين متباينين، من جهة أخرى. وقد يقول قائل بأنها حينما وظفت "أندلوث / أندلوثيا"، إنما أرادت تناول أدباء الأندلس الذين ينتمون لمدن إقليم "أندلوثيا" الحالية فقط، وليس هذا بمبرر كافٍ؛ إذ إن الشعراء المذكورين في الدراستين لا يمكن أن يوصفوا بغير "أندلسيين" لمن يعتمد المنهجية العلمية من متأخري المستعربين الإسبان، ولا شك أن السيدة ثيليا تدرك هذا تمام الإدراك، وهي توظف مصطلح "أندلوث / أندلوثيا"، إضافة لأخرى مثل "إسبانيا الإسلامية" "إسبانيا العربية" المرصودة بوضوح في بحثها نفسيهما^(١).

(١) Celia del Moral Molina. "La imagen de la mujer a través de los poetas árabes andaluces (s. VIII-XV)", En La Mujer en Andalucía. ١º Encuentro Interdisciplinar de Estudios de la Mujer. Pilar Ballarín y Teresa Ortiz (eds.), Granada, ١٩٩٠, nº ٣, vol. II, pp. ٧٠٣-٧٣٠; "La Mujer árabe en Andalucía durante la Edad Media. Estado de la cuestión de los trabajos publicados hasta el momento", En Las Mujeres en la Historia de Andalucía. Actas del II Congreso de Historia de Andalucía, Córdoba, ١٩٩١. Córdoba: ١٩٩٤, pp. ٣٥-٤٠.

الأندلس والأدب الأندلسي

وتأكيدًا لنزعة التأميم رغم المخاتلة، يمكن أن نشير إلى عمل صارخ في عنوانه مثل *Cuandofuimosárabes* (عندما كنا عربيًا) لإيميليو غونتالث فيرين، المتخصص في الدراسات الإسلامية والعربية. فبينما يوهمك العنوان بنصرة عروبة وإسلامية الأندلس مثلًا، يأتي المحتوى مخيبًا لأفق التوقع؛ إذ لا يخرج عن الأيديولوجيا المعتادة، التي تحاول تأميم الأندلس عن طريق رفض فكرة الفتح من أساسها، واعتبار الأمر تحولًا طبيعيًا داخل إسبانيا القوطية نفسها، جاريًا على منهاج سلفه أو لاغيو *Los árabes no invadieron jamás España* (العرب لم يغزوا إسبانيا قط) كما أشرنا سابقًا. وقوله "عربيًا" لا يطرح فكرة العرق العربي هنا بل يشير إلى اللغة التي صبغت الأدب والثقافة، وما مشروع دحض الفتح العربي عنده وعند أولاغوي إلا تأكيد لمبدأ الأندلس الإسباني لا العربي ولا الإسلامي في جوهره وعمقه.

ويؤكد هذا الاتجاه عند فيرين كتاب له آخر بعنوان *Historia General de Al Andalus: Europa entre Oriente y Occidente* (تاريخ الأندلس العام: أوروبا بين الشرق والغرب)، فهنا لا يستبدل فيرين بالأندلس غيرها من المصطلحات كما احتال غيره من المستعربين، لكنه يتبنى فكرة أن الأندلس هي الأصل الثقافي لأوروبا وأنها عنصر الهوية لإسبانيا والبرتغال لكنه لا يعبأ بعروبيتها كما شرحنا في الأعلى.

ومع ذلك، فالأندلس عند بعض المستعربين الإسبان ليست أوروبية غربية كما اعتبرها عدد من نظرائهم؛ بل هي عندهم فريدة التكوين لا شرقية ولا غربية. إنها ثقافة خاصة وكأنها منبئة عن غيرها أو استقلت بنفسها تمامًا في صورتها النهائية، وقد كانت عند غارثيا غومث، وهو أحد كبار المستعربين على الإطلاق محظورة من أن تكون عربية أو إسلامية الجوهر، وهو الأمر الذي انعكس على نظرتهم للثقافة الإسلامية إجمالًا، فوصفه بعضهم بأنه ضد عربي وضد إسلامي

د . صالح عيظة الزهراني

رغم خدمته الكبيرة للثقافة الأندلسية إجمالاً^(١). لعل هذا النموذج يعيننا أكثر على فهم المسافة التي كان هؤلاء المستعربون يقفونها حيال الأندلس، فهي ليست وقفة تناقض محيرة بين القبول وعدمه أو الاحتواء والرفض، بقدر ما هي نظرة تشذبية تراه يعيون قومية خالصة وجب معها تصفيته من شوائب الإسلام والعروبة التي غلبت على النظرة إليه. وهذه النظرة القومية الإسبانية كانت ضرورية ليميز المستعربون الإسبان أنفسهم عن غيرهم من دارسي الأندلس، وكأنها نوع من تضيق الفجوة التاريخية من حيث إن التجربة الإسبانية جاءت متأخرة قياساً بالفرنسية مثلاً. ولا أدل على ما نقول من حماستهم الشديدة لمشاهير علماء الأندلس وأدبائه واعتبارهم إسباناً كما سبق أن ذكرنا.

ثانياً: النموذجية:

استوعب الباحث الإسباني-كغيره-أن حضارة الأندلس حالة استثنائية لا يشاكلها في واقع أوروبا والعالم القديم سوى قسيمتها في الشرق العربي، ويكفي أن قرطبة في مرحلة ازدهارها كانت حاضرة أوروبا الأولى، وشكلت مع بغداد قطبين يتنازعان الصدارة من الشرق إلى الغرب. ولأن جمره القومية بدت متقدمة في دواخل الإسباني المتطلع لهوية معتبرة، صارفاً الأندلس عن كل ارتباط خارجي وجاعلاً منها نتاجاً محلياً بالدرجة الأولى؛ فقد وجد في الأندلس علة سليمة لهذا الاحتواء من جهة اتصافها بكالمالية حضارية لم يحظ بها المحيط المسيحي المتاخم لها على الأقل. لقد تخلقت ملامح من النموذجية في صورة الأندلس عند الباحث الإسباني الحديث، فرأى فيها معادلاً غير عادي لقيم عليا كالتسامح والعدالة الاجتماعية

(١) يذكر حامد أبو أحمد كلاماً ينسبه لإيميليو غارثيا غومث يفخر فيه بأن إسبانيا هي القطر الوحيد الذي دخله الإسلام وخرج منه، ويحمد ذلك؛ إذ لولاه لبقيت إسبانيا متخلفة شأنها شأن الدول الإسلامية من حولها. أثر الإسلام في الأدب الإسباني. لوثي لوبيث-بارالت، ترجمة أحمد أبو حامد وعلي البمبي، القاهرة: مركز الحضارة العربية، ٢٠٠٠، ص ١١-١٢.

الأندلس والأدب الأندلسي

والحرية الشخصية والدينية، مؤطرة بمزية الوسطية المنعدمة في العصر الوسيط المرتهن للعصبية الدينية.

إنها حضارة متفوقة ذات نموذج يمكن مقارنته بأعتى الحالات الحضارية اليوم وتوظيفه فيها، ما أشاع في المستعرب الإسباني حالة من المباهاة بهذا الماضي الاستثنائي ذي الملامح الطوباوية، بثت فيه حرارة التمسك باحتوائه والانتماء إليه.

ويمكن لهذا الباعث، رفقة ما قبله، أن يدفعنا المثقف الإسباني والمستعرب خاصة، لنوع من المقاومة الثقافية؛ فالمؤسسة المسيحية آنذاك متعصبة وإقصائية ومتخلفة معرفياً في الغالب، مقابل أندلسٍ تقع على النقيض تماماً، فجدت تلك في طمسها وتذويبها، ما جعل من المنافحة فعلاً ملزماً. وإسبانيا عموماً كيان ضاغط على الهيئات الأخرى، ولنا في القطلونية والباشكية والجليقية اليوم أوضح الأمثلة، فما بالك بالأندلس وهي القسم التاريخي الأكبر لإسبانيا.

إن الاعتداد بالأندلس نوع من التشبث بهوية فارقة ذات خصائص حضارية لم تعوضها إسبانيا في يوم ما، ومن هنا كانت الحماسة كبيرة، وفي القادم نحاول رصد هذه النموذجية من زاوية تشمل الأدب الأندلسي بوصفه مظنة من مظانها حيناً ومصدرًا أساسياً من مصادرها حيناً آخر. لقد تجسدت هذه النموذجية في شكل سلوك ثقافي تبناه هذا المثقف في سبيل حمايتها أو تأطيرها، ويمكن رصد ملامحها في النقاط التالية:

-المثلثة :

المثلثة هي المقابل العربي الممكن لكلمة "idealización" الإسبانية، وتعني تصيير الشيء في مرتبة عليا تتيح له أن يكون مستعلياً عن الواقع أو متفوقاً عليه أو نموذجاً أعمق له، ويعرفها قاموس الأكاديمية الملكية الإسبانية بأنها "رفع

د . صالح عيظة الزهراني

الأشياء عن الواقع المحسوس عن طريق الذكاء أو الخيال"^(١). ولا شك أن القدر الذي حظيت به الأندلس في محيط أوروبي ضال عن الحضارة، صيرها مثلاً أعلى في نظر المستعرب الإسباني، وهذه النموذجية التي تمتع بها، نقلت الأمر عنده من محيط الفكرة القارة إلى دائرة العمل البحثي؛ فانتضى قلمه ليلون الأندلس بهذه المثالية. ومن أهم تلك الأمثلة ظاهرة التسامح التي اعتيد ربطها بالأندلس؛ وفيها أفاض الباحثون من جهة تعايش الأديان الثلاثة وقبول الآخر المختلف، فرأوا فيه امتيازاً حضارياً للأندلس لعدد المكونات التي شكلته، رغم عدم تسليم آخرين بفكرة التسامح تلك واعتبارها محض أسطورة، جانحين إلى بعض المشاهد في التاريخ الأندلسي التي عرض فيها قليل أو كثير من الإقصاء والتمييز^(٢)، ومسلطين نقدهم اللاذع على المستعربين والباحثين المنافحين عن مثالية الأندلس^(٣).

(١) انظر: RAE (Real Academia Española)، مادة (idealizar) <http://www.rae.es/>

(٢) لإدراك مدى استقرار فكرة التسامح الأندلسي في فكر عدد من المستعربين الإسبان وغيرهم؛ يكفي تأمل عنوان الكتاب التالي:

La joya del mundo: musulmanes, judíos y cristianos, y la cultura de la tolerancia en al-Andalus. María Rosa Menocal, Trad. Carolina Sanín, Barcelona: Plaza & Janes, ٢٠٠٣.

وبالمقابل، فهي كثيرة تلك الطروحات الإسبانية ضد أندلسية، التي تعيد النظر في القيم المستقرة عنها مثل التسامح والتعددية والمثالية. انظر مثلاً:

El mito de al-Ándalus : orígenes y actualidad de un ideal cultural. José Antonio Alcantud, Córdoba: Almuzara, ٢٠١٢; Al-Andalus contra España: La forja del mito. Serafín Fanjul Madrid: Siglo XXI, ٢٠٠٢; Serafín Fanjul. La Quimera de al-Andalus, Madrid: Siglo XXI, ٢٠٠٤.

(٣) في كتابه الآنف الذكر La Quimera de al-Andalus (وهو الأندلس) يعنون سيرافين فاتحول أحد فصوله بـ "أسطورة الثقافات الثلاث" الذي يهاجم فيه فكرة التسامح الديني التي منحت الأندلس المثالية المشهورة،

La Quimera de al-Andalus. Serafín Fanjul, ٧ ed., p. ٢١.

الأندلس والأدب الأندلسي

ومن تلك العناصر الداعمة للقيمة العليا والداعية للإخلاص لفكرة المثانة للأندلس كذلك، موضوع التفوق الحضاري والثقافي؛ فالأندلس حضور بهي من حيث العمق الفكري والعلمي مقارنة بما كان عليه جيرانها المسيحيون من تفوق فكري وتواضع علمي. إضافة إلى قيم الحرية والتعددية التي امتاز بها الأندلسيون عن وسطهم، وتراجع العصبية مع تقدم الدولة في قرطبة حيث أصبحت "الأندلسية" هي الفيصل في المواطنة منذ زمن عبد الرحمن الداخل مروراً بعقبه. ومن النماذج التي أراها مؤاتية لتمثيل هذه المثانة في الثقافة الأندلسية عامة، يمكن استحضار واقع التوفر على قصر الحمراء بغرناطة؛ فقد تزايدت العناية به لما يصوره من مزيج بين الواقع والحلم تركب على أسس مثالية دفعت الدارسين لاعتباره مثلاً ناصعاً للفردانية الحضارية. لطالما اعتبر الباحثون الإسبان قصر الحمراء مفخرة قومية لما وصل إليه من عظمة لا تقف عند حدود الأثر العمراني الباذخ، بل يتخطاه إلى القيمة العليا التي تصير العمارة لقاءً حميمياً بين العبقريّة الفكرية والفلسفية والفنية، نزعت لتجسيد الغيبي والمثالي فيه. وحين توفر المستعربون الإسبان على هذا القصر جدوا في مثلته على نحو يوافق ما وقر في نفوسهم من تعظيم له تدفعهم القومية والافتخار بالحضارة الإسبانية القديمة. لقد جهد كثير من الباحثين للنظر في مكونات هذا القصر ومحاولة تفكيكه والتعرف على سر الجاذبية فيه؛ فدرست طرق العمارة وفنونها وجماليات المياه والنقوش وغيرها مما يؤدي وظائف جمالية وفنية يتجاذب فيها الأرضي والسمائي، لتنتصب صرحاً من الطوباوية في فضاء معماري فريد^(١).

ولقد كانت نقوش الحمراء عامّة دافعاً إلى القول بمثالية الأندلس، فكانت قراءة سورة الملك في قبة قمارش فوق عرش السلطان، دليلاً على قصدية الربط بين

(١) للمزيد عن هذا، انظر صالح عيطة الزهراني، " إيقاع الصورة في نقوش الحمراء"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، س ٣٧، ع ١٤٦، ٢٠١٩، ص ص ٦٩-١١٦.

د . صالح عيظة الزهراني

السماء والأرض والربط بين الملك الأرضي والملك السماوي^(١). وحتى لا ندور بعيداً عن فلك الورقة، يمكننا أن نشير إلى عنايتهم بالنقوش الشعرية في القصر وأثرها في ترسيخ فكرة التعالي الحضاري فيه؛ فقد حظيت بكثير من الرعاية تلمست فيه هذه المتلنة بشكل أو بآخر. والأمثلة في ذلك كثيرة، ولعلنا نكتفي بالإلماح إلى نقوش القصر السعيد الشعرية، خاصة تلك القصيدة اليائبة التي تعد واسطة العقد في نقوشه الشعرية^(٢):

ولله مبناه الجميل فإنه يفوق على حكم السعود المبانيا
به القبة الغراء قل نظيرها ترى الحسن فيها مستكناً وبأديا
تمدُّ لها الجوزاء كفَّ مُصافِحٍ ويدنو لها بدرُ السماءِ مُناجِيا
وتهوى النجومُ الزُّهرُ لو ثبتتُ بها ولم تكُ في أفقِ السماءِ جواريا
ولو مثلتُ في ساحتيه لسابقتُ إلى خدمةٍ تُرضيه منها الجواريا
بها البهؤُ قد حازَ البهَاءَ وقد عدا به القصرُ آفاقَ السماءِ مُباها

ففي هذا النص تتجلى النزعة المثالية التي تتحدى الأثر السماوي الفردوسي بمقابل أرضي يسعى للتفوق عليه، ما دفع المتوفرين من المستعربين الإسبان لمتلنة الأندلس من خلال هذا القصر الذي التفتوا إليه في موجه اهتمام الرومانسيين وبحثهم عن الفضاءات التي تجسد رؤاهم وأحلامهم. ويناقش غير واحد من المستعربين هذه المتلنة لقصر الحمراء وللأندلس عامة ويعيدها لمرحلة الرومانسية الأوروبية ولبعض الرحلات العربية للأندلس ولجهود شخصيات نضالية "أندلوثية" مثل بلاس إنفانتي الذي قام في إطار مشروعه القومي بتأطير

(١) انظر:

Leer la Alhambra. José Miguel Puerta Vilchez, p. ١٢٤.

(٢) ديوان ابن زمرك الأندلسي. محمد ابن زمرك، تحقيق: محمد النيفر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧، ص ١٢٥.

الأندلس والأدب الأندلسي

الماضي الأندلسي بقيم التسامح والتفوق الحضاري كما فعل مع المعتمد بن عباد، واصطناعه- أي بلاس إنفانتي- لفضاء أندلسي فيما يسمى بدار الفرح حيث اتخذ له مكتباً داخل القصور العبادية، فجسد الماضي الأندلسي واصطنعه وربطه بالواقع الأندلوثي المعيش^(١).

والمستعرض لجملة من الدراسات الاستعرابية الإسبانية يجدها قد ارتكزت بدرجة كبيرة على نصوص أدبية أندلسية (عربية وعبرية أيضاً)، من أجل الدفاع عن فكرة التسامح الديني بين الثقافات الثلاث ما يعمق الشعور بنزعة المثمنة التي نتحدث عنها. فنجد عرضاً لبعض المشاهد التي حضر فيها القبول بالآخر والتعايش معه بل من خلال تقبل عقيدته المختلفة. لهذا نجد استدعاء أميناً لشخص أندلسية مثل المنفلت مداح اليهود، والشاعر الرمادي وابن الحداد وغيرهما ممن دعاه الشغف بالحبیب النصراني إلى دخول الكنائس وإظهار الاستعداد التام للدخول في الديانة النصرانية، وهو الأكثر دلالة على أن مثمنة الأندلس لم تكن من فراغ وليست في أصولها مجرد أسطورة معلقة في الهواء^(٢).

وأميل إلى أن هذا الشعور بالتفوق الثقافي الأندلسي قد حمل بعض المستعربين على الإيمان بعمق تأثير الأدب الأندلسي في نظيره الإسباني وأنه النموذج المثالي له. لعل هذا هو ما جعل خوليان ريبيرا يزود عن فكرة تأثير الموشحات والأزجال في التروبادور والغناء الأوروبي، وبالمقابل تأثير الأدب

(١) يضاف إلى ذلك دور المرحلة الرومانسية الأوروبية وبعض الرحلات العربية للأندلس التي عمقت مثالية الأندلس. انظر مثلاً:

Al Ándalus y lo andaluz. José Antonio Alcántud pp. ٢٥-٤١, ١٥٣-١٦١.

(٢) انظر مثلاً:

María José Cano y Beatriz Molina. "Judaísmo, Cristianismo e Islam En Sefarad: ¿Un ejemplo de diálogo intercultural?", MEAH, sección Hebreo ٤٩, ٢٠٠٠, pp. ٢٠٧-٢٣٢, en especial (٢٢١-٢٣٠).

د . صالح عيظة الزهراني

اللاتيني في إسبانيا في نشوء الموشحات من خلال الخرجات الأعجمية^(١)، وهذه الحماسة المزدوجة يمكن أن تتدرج في خانة القومية والنموذجية معاً؛ فالقومية محرك والنموذجية أو الفردانية محرك آخر يدفعان لهذه المثلثة. والجدير بالذكر أن من الباحثين من ناوأ هذه النزعة ودفع هذا التأثير على اعتبار أنه لم يبين وفق أسس علمية وبحثية، بل هي فرضيات عامة تقف وراءها عاطفة مشبوبة لهذا الأثر، والواقع أن الأمر ليس محسوماً لطرف دون طرف^(٢). وهذا سيرافين فانخول، والأمر عنده ضمن مشروعه في هدم ما سماه أسطورة الأندلس ووهم الأندلس؛ بعد إيراده لبعض النماذج البحثية والشواهد على عربية فن الفلامنكو الشهير التي قال بها ريبيرا وغيره؛ يهاجم الفكرة هجوماً شرساً لا يخلو من سخرية وتحيز^(٣)، ولو لم تكن هذه الفكرة-التي ساهمت في مثلثة الأندلس أو كانت نتيجة لها-متأصلة في الدرس الاستعرابي الإسباني؛ ما كانت هذه الشراسة في ردها والهجوم عليها.

ولعل من أشهر تمثيلات هذا التلقي الموجه الذي مارس تأثيراً واسعاً لدينا في الأوساط الأدبية، هي حكاية تأثير المقامة العربية-والأندلسية جزء منها على كل حال- في قصص البيكاريسكا / الشطار الإسبانية، وهي التي أشاعها أول مرة أنخل غونثالث بالنثيا في كتابه عن تاريخ الفكر الأندلسي الذي ترجمه الراحل

(١) انظر كتبه:

El cancionero de Abencuzmán, Julián Rivera, Madrid: Imprenta de Estanislao Maestre, ١٩١١; Épica Andaluza Romanceada, Madrid: Real Academia de la Historia ١٩١٥; La música de las Cantigas. Estudio sobre su origen y naturaleza, Madrid ١٩٢٢; La música árabe y su influencia en la española, Madrid: Boletín de la Real Academia de Historia, ١٩٢٧.

(٢) انظر مثلاً عبد الهادي زاهر، صلة الموشح والأزجال بشعر التروبادور، القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٨٦.

(٣) Al-Andalus contra España. La forja del mito, Serafín Fanjul, pp.١٥٦-١٦٨.

الأندلس والأدب الأندلسي

حسين مؤنس^(١). وهذا الرأي لم يكن مبنياً على عمل بحثي بقدر ما كان إشارة خاطفة من بالنثيا حول ما يلمحه من تشابه بين الجنسين الأدبيين يدفعه في الغالب شعور مسبق في اللاوعي بتفوق الأدب العربي وقيمته وعاطفة حميمية تجاهه ورغبة في جعله مثالياً يمتح منه غيره، لتتلقفه الأقسام العربية وغيرها بكثير من القبول وتعتبره نتيجة غير قابلة للدحض^(٢)، حتى انبرى بعض الكتاب مؤخراً لإفافة الباحثين من سكرة التسليم التام بهذا الاعتقاد، وإن كان لم يتمكن من الإقناع التام^(٣). وفي كتاب أدخل بالنثيا هذا نفسه، إشارات مهمة تؤيد نزعة المثمنة هذه؛ فهو يتفق مع خوليان ريبيرا فيما ذهب إليه من أن نظام الشعر الغنائي الأوروبي يعود للشعر "الأندلوثي" ومنه زجل ابن قزمان؛ وأن هناك بصمات لملاحم شعرية في شكل رومانثي ازدهرت في "أندالوثيا" في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، وأن اللاتينية حضرت في أوساطهم فنتج عن خليط التأثيرات المشرقية والأوروبية نظام شعري مختلط. كما ينقل في كتابه عن غارثيا غومز تعليقه على نونية ابن زيدون في ولادة بأنها أجمل قصيدة حب لـ "مسلمي إسبانيا"، وأنها أقرب القصائد للذوق الأوروبي. وإشارة لهذه المثمنة ذهب بالنثيا في كتابه المذكور إلى رصد تأثيرات الزجل في بلدان أوروبا مثل فرنسا وألمانيا وإيطاليا^(٤).

(١) Historia de la literatura árabe-española. Ángel González Palencia, p. ١٣٤.

(٢) أشهر هؤلاء على الإطلاق محمد غنيمي هلال، شيخ المقارنين العرب. انظر النماذج الإنسانية في الدراسات الأدبية المقارنة، محمد غنيمي هلال، القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٥٧، ص ٥.

(٣) المقامات وباكورة قصص الشطار الإسبانية، علي عبد الرؤوف البمبي، الرياض: كتاب الرياض، ع ٤٨، ١٩٩٧.

Historia de la literatura árabe-española. Ángel González Palencia, pp.

١١٣، ١١٥، ١١٦، ٣٤٨، ٧٠، ٧١، ٣٥٤.

د . صالح عيظة الزهراني

ولعل هذا الشعور ذاته هو ما قاد ميغيل آسين بالاثيوس لطرح فكرة الأثر العربي في الكوميديا الإلهية لتتحول بعد ذلك لأطروحة معتبرة جداً على النحو المعروف، وهي مثلثة تستدعي المسيحية على اعتبار ما وقر في ذهنه من أصول مسيحية للإسلام نفسه. وقد جهد بعض الباحثين في إعلاء الأثر المتعلق بقصة حي بن يقظان في الآداب العالمية مثل روبنسون كروزو لديفو والكريتيكون لغراثيان وغيرهما، وهو أثر غير مسلم به تماماً من قبل الباحثين^(١). كما ربط المستعرب الإسباني خوان باليرا بين مرثيتي أبي البقاء الرندي والشاعر الإسباني خورخي مانريكي (١٤٧٩-١٤٤٠) على مبدأ وجود تقاطعات بينهما^(٢)، كان الأول نموذجاً مثالياً اجتذب إليه مانريكي فنسج على منواله، ناهيك عن حس القومية الذي يربط بينهما باعتبارهما أبناء قومية واحدة ذات مشتركات سهل بها التأثير والتأثير.

إنها النزعة للمثلثة، تبدو لي واضحة من واقع إيمان بنموذجية الأندلس بمفهومه في الفكر الاستعرابي الإسباني على النحو الذي بيناه سابقاً.

ثالثاً: التفريغ الديني / لادينية الأندلس:

اقتضت النموذجية التي آمنت بها تلك الشريحة من المستعربين الإسبان النظر للأندلس الحضاري الذي تتاجز به غيرها من الأمم التي طالما عدت

(١) انظر حي بن يقظان وروبينسون كروزو. دراسة مقارنة، محمود حسن عباس، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٣؛

J. M. Puerta Vilchez y J. Lirola Delgado. "Ibn Tufayl, Abu Bakr". En Enciclopedia de la cultura andalusí. Biblioteca de al-Ándalus, Almería: Fundación Ibn Tufayl, ٢٠٠٧, ٥, pp.٤٩٨-٥٠٣.

(٢) ورد هذا الربط في هامش على إحدى صفحات كتاب فون تشاك (شعر العرب وفنهم في إسبانيا وصقلية) الذي ترجمه باليرا من الألمانية للإسبانية. انظر:

Poesía y arte de los árabes en España y Sicilia. Adolfo Federico Von Schack, trad. Juan Valera, México: Centauro, ١٩٤٤, pp.١٣٠-١٣١.

الأندلس والأدب الأندلسي

إسبانيا رجعية وغير تقدمية؛ على أنه فضاء متحرر دينياً في الجوهر، وإن بدا ظاهراً ذا صبغة دينية (إسلامية خاصة ومسيحية ويهودية). يأتي هذا المفهوم في إطار من الفكر الحديث الذي يحسب التقدم حصيلة حتمية لتخطي سطوة الكهنوت أولاً، في محاولة لإسقاط حقيقة الحضارة الغربية الحديثة على واقع الأندلس؛ إذ يصعب تفهم التفوق الأندلسي بمكونه الإسلامي خاصة. وقد جهد إيميليو غونثاليث فيرين، أنف الذكر، في دحض فكرة الربط بين الإسلام والأندلس معتبراً من الخطأ فهم الحالة الحضارية من خلال الدين، وضرب أمثلة على ثقافات مختلفة رغم اشتراكها في الدين نفسه^(١).

ولعل مزية التعايش الديني كما وقر عن الأندلسيين مسلمين ويهوداً ومسيحيين، خلق لدى المستعرب الإسباني تصوراً بأن هذه الحالة الفريدة من التعايش، على الأقل في مراحل النهضات الكبيرة، علامة ليس فقط على انحسار التعصب الديني بل أيضاً على وجود هشاشة في التدين أصلاً؛ بمعنى لا دينية في الجوهر أو لا اكتراث ديني حقيقي. لقد رسخ في نفس هذا المستعرب الاعتقاد بأن الدين لا يمكن أن ينتج حضارة؛ لأنه يحمل الناس على مبدأ واحد ولا يؤمن بالتعددية أو الانفتاح على الآخر، وهي من شروط التفوق الحضاري التي لا ينهض بغيرها. وفي إطار نزعته للتصدي لفكرة مثلثة الأندلس ومثاليته، يطلق خوسيه أنطونيو ألكانتوز عبارة يفهم منها التعامل مع الأندلس بوصفه حالة حضارية لا تكثرث بالدين: "لننتبه، وليكن في الاعتبار؛ فالأندلس كان -وما يزال- زندقة بالنسبة للمتشددين الإسلاميين"^(٢). هذه العبارة مقتبسة من لقاء

(١) Historia general de Al Ándalus. Emilio Gonzáles Ferrín, Córdoba: Almuzara, ٥ d., ٢٠١٩, pp. ٣١-٨٢.

(٢) في مقابلة مع صحيفة Malagahoy بتاريخ ٢٠ مارس ٢٠١٤ م .

https://www.malagahoy.es/ocio/Al-Andalus-campo-batalla-historiografico-periodistico_٠_٧٩٠٤٢١١٥٥.html

د . صالح عيظة الزهراني

صحفي له، وهذا النوع من الأحاديث سهل فيه المكاشفة لغلبة العفوية والمباشرة وهو ما لا يتأتى في الأعمال البحثية الجادة. ومن جهة أخرى، يتموضع كاميلو ألباريت في منطقة وسطى ترى التدين الأندلسي مادة قابلة للتشكل حسب الظروف والأهواء والمصالح: "وعلى طول الطريق الذي سنسلكه سنستعين بالأدب والفلسفة والدين والطب والقانون. وكل حقل منها سيخبرنا عن ملامح بعينها، خاصة ما يتعلق بالرجل والمرأة، اللذين يتصرفان متفقين مع القانون والدين أحيانًا، ومتجاهلين لهما أحيانًا أخرى، جاعلين من نوازعهما ومن الحب فوق أي معيار..."^(١). ويختتم دراسته بما يوحي بميل راسخ إلى أن الإسلام في الأندلس لم يكن بالقدر الذي يستطيع من خلاله كبح الممارسات المخالفة له، في إشارة أن الهيئة المتحررة للأندلس لا تفسر من طريق التدين، بل الثورة عليه^(٢). وفي إطار آخر، تعلق مانويلا مارين تفشي ظاهرة الخمر بين الأندلسيين بالتراخي الكبير في النزعة الدينية لديهم، وغلبة الثقافة المحلية عليهم، متسقة مع رأي جلة من المستعربين؛ تقول: "إذا كان مسلمو الأندلس قد تعاطوا الخمر بشكل عام بينهم، دون تأنيب الضمير، فالسبب بسيط للغاية: لم تستطع التعاليم القرآنية على الإطلاق اختراق التقاليد "الإسبانية"^(٣). ولا شك أن النصوص الكثيرة من شعر الخمريات ساهمت مساهمة جوهرية في بناء هذه النظرة والاعتداد بها. وفي الواقع، يلفت الانتباه الكم من البحوث الإسبانية المتوفرة على موضوع الزندقة في الأندلس، تبرز على نحو يشعر بشيء من القناعة والرضا من الباحث

(١) Camilo Álvarez de Morales. "La sociedad de al-Andalus y la sexualidad", Actas del Congreso Conocer al-Andalus, Sevilla, ٢٠١٠, pp. ٤٣-٧٣, en especial, p. ٤٤.

(٢) Camilo Álvarez de Morales. "La sociedad de al-Andalus y la sexualidad", p. ٧٣.

(٣) Manuela Marín. "En los márgenes de la ley: el consumo de Alcohol en al-Ándalus". En Estudios onomástico-biográficos de al-Ándalus (Identidades marginales) XIII, ٢٠٠٣, pp. ٢٧١-٣٢٨.

الأندلس والأدب الأندلسي

وكأنها من أسرار التفوق الحضاري للأندلس. ففي مقدمة الباحثة ماريا إزابيل فيرو لكتابها *La Heterodoxia en el período omeya* (الهطقة في الأندلس خلال العصر الأموي)، تشير لكم من الدراسات السابقة المتوفرة على الموضوع، ثم تبرر عملها الواقع في أكثر من مئتي صفحة (المنشور بواسطة المعهد الإسباني للعربي للثقافة، وهو هيئة معتبرة قطعاً)؛ بأنه يستوعبها ويحاول تقديم صورة واسعة عن الظاهرة في الأندلس زمن الأمويين، استهلتها الباحثة بالحديث في أول مباحث الكتاب عن ردة عبد العزيز بن موسى بن نصير عن الإسلام! وفي الوقت الذي ندرك فيه كفاية الدافع البحثي لمثل هذه الأعمال؛ لا يبعد أن يكون وراء هذا الاحتفاء بالظاهرة نزعة -في إطار المشروع القومي الإسباني- لتحديد أصالة المكونين العربي والإسلامي في بناء الحضارة الأندلسية.

وأقدم منه مؤلف ميغيل آسين بالاثيوس *La indiferencia religiosa en la España musulmana: según Abenhamza, historiador de las religiones y las sectas* (اللامبالاة الدينية في إسبانيا الإسلامية وفقاً لابن حزم، مؤرخ الأديان والطوائف)؛ الذي يلحق الإسلام بإسبانيا على عادة التأميم للأندلس كما ذكرنا، وفيه يرى بالاثيوس أن الضغط من المؤسسة الدينية الإسلامية ممثلة بالفقهاء، على الأفكار المخالفة لم يؤد إلى كبجها كما يرى كثيرون، بل على العكس؛ فجلة من المنتورين اتخذوا الشك الديني منزعاً لهم ودعوا إلى دين شامل للكل، فساغ أن يطلق عليهم باطمئنان أنهم غير مكترئين دينياً^(١). وفي تعبيره بـ "جلة من المنتورين" إلماح إلى أنها ظاهرة واسعة من جهة ونخبوية من جهة أخرى، وهذا

(١) *La heterodoxia en el Ándalus durante el período omeya*. María Isabel Fierro Madrid: Instituto Hispano-Árabe de Cultura, ١٩٨٧, pp. ١٤, ١٧.

(٢) *La indiferencia religiosa en la España musulmana: según Abenhamza, historiador de las religiones y las sectas*. Miguel Asín Palacios, Madrid: Imprenta Ibérica, ١٩٠٧, pp. ٤-٧.

د . صالح عيظة الزهراني

أمر لا يمكن التسليم به تمامًا، ولعل بلاثيوس وجد نفسه مندفعًا إليه من واقع النمذجة التي نتحدث عنها، وهو وإن انحاز كثيرًا لتأثير المسيحية في الإسلام من واقع أنه قس مسيحي؛ فإنه لم يكن بمقدوره إحلالها محله لصعوبة ذلك وغرابته، فأثر-في رأبي- أن يبقي على صفة "الإسلامي" المقبولة بحثيًا مع تجريدها من محتواها جاعلاً منها مقصورة عن أن تكون جوهرًا لتلك الحضارة العظيمة.

وقبل التعرّيج على هذه الظاهرة من خلال الدراسات في الأدب الأندلسي، يمكن بيقين كبير الإشارة إلى صدى هذا الاعتقاد، أو فنقل النزعة، في بعض إبداعات الإسبان المتأثرين بمحيطهم الاستعرابي، ومنها الرواية التاريخية الشهيرة "المخطوط القرمزي" لأنطونيو غالابوصف الطرح الذي تتبناه ثمرة مباشرة من ثمرات التوجه السائد عند سواد المستعربين الإسبان تجاه الأندلس. في هذه الرواية يتناول غالابوصف آخر رموز الأندلس، الملك "أبو عبد الله الصغير" بوصفه ضحية وليس مذنبًا، وأنه نموذج حقيقي للشخصية الأندلسية المثقفة الحضارية، فقدمه بصورة اللاديني الذي يسخر من الصلوات ومن الفقهاء ويمارس انحلالاً سلوكيًا مرده ثورة داخلية على التقاليد الدينية. وبالقدر ذاته ينقل عن أحد عليّة يهود الأندلس سخريته من الدين، وتلخيصه للتدين عند الأندلسيين على أنه مجرد طقوس وكل الأديان في الحقيقة متشابهة^(١).

أما مظاهر هذا في الدراسات الإسبانية عن الأدب الأندلسي فيمكن التقاطه من جملة تحليلات المستعربين، ومن أمثلة ذلك مقال تيريسا غارولو الموسوم بـ "Notas sobre muḥūn en al-Andalus. El capítulo VII del Naḥḥ al-ṭīb de al-Maqqarī".

(ملحوظات حول المجون في الأندلس، الفصل السابع من نوح الطيب للمقري)، ففي هذا المقال تناقش غارولو جملة من المرويات والأشعار الأندلسية

(١) المخطوط القرمزي، أنطونيو غالابوصف، تر، رفعت عطفة، دمشق: دار ورد، ط ٢، ١٩٩٨، ص

الأندلس والأدب الأندلسي

التي أوردها المقرئ في موضوع المجون، وتستعرض ضمن ذلك قضية الزندقة بنعمة توحى بإيمان بلادينية الأندلسيين، وتقسم الحكاية بين عامة وخاصة، وأن الطبقة العليا يصح فيها الوصف بالزندقة الدينية التي لا تؤمن بالدين ولا البعث وغير ذلك، وأن هذا من محدداتها الثقافية، وهو ما يطابق نظرة "المخطوط القرمزي" في لا دينية أبي عبد الله الصغير. وتصف شخصية الماجن ابن طلحة من خلال قراءتها لشعره، بالقول إنه لم يكفر فقط بشهر رمضان، بل مارس الزندقة ليمتاز عن العامة، في إشارة غير مباشرة لبقاء التدين فقط في الطبقة الدنيا التي لا تمثل الأندلس في جانبه الحضاري كما تمثله الخاصة، جاعلة الوعي شرطاً لتحقيق هذه اللادينية الأندلسية.

ويظهر تركيز غارولو على قول المقرئ في كل مرة ينقل فيها زندقة: "ناقل الكفر ليس بكافر"، وبغض النظر عن نقلها هذا الاحتراس، يبدو لي أنها تعده قبولاً غير مباشر بالزندقة وتسامحاً في تداولها في الأوساط الأندلسية يحكي شيوعها وألفتها؛ فالمقرئ ينقل عن ابن سعيد المؤرخ على كل حال. وتسترسل الباحثة في تناول الفصل الخامس من نفع المقرئ وتستحضر أبياتاً لأحد الزنادقة الدهريين الأندلسيين الذي يرى الحياة خمراً ونساء ثم موتاً فقط، بل تورد أبياتاً لابن سعيد الأب نفسه تعتبر الوجود ما نراه فقط ولا شيء وراءه وأن الدين باطل، وحين يعلق أحدهم أن الشعراء "يقولون ما لا يفعلون" تعقب الباحثة بأنه تبرير ضروري منه لكيلا يخاطر بحياته! وهذه الصيغة إشارة كامنة لإيمان بالظاهرة عندها وتأكيد جريء لها، في نوع من التوجيه القرآني المعول على الذات أكثر من الحقيقة التاريخية^(١).

(١) Teresa Garulo. "Notas sobre mu'ūn en al-Ándalus. El capítulo VII del Nafh al-tīb de al-Maqqarī". Anaquel de Estudios Árabes, ٢٠١٥, vol. ٢٦, pp. ٩٣-١٢٠; pp.١٠٢,١٠٤.

رابعاً: التفريغ الأخلاقي / المثلية:

لهذا الشق علاقة بشكل أو بآخر بموضوع التفريغ الديني الذي استلزمته النمذجة للأندلس، وقد يكون هو المؤدى الطبيعي له، وهو من الأهمية بالدرجة التي يقتضي معها إفراده، لأنني رأيت شديداً الوضوح وبين الأثر في الوسط الاستعراب الإسباني، ليس فقط من المتعاطفين مع التيار المثلي الذين يبحثون عن فضاء نموذجي يضربون به المثل في موضوعه؛ بل حتى شريحة المتقبلين للأندلس هوية حرة ومتحضرة سبقت زمانها في تفهم الاختلاف ورعايته.

لقد صدرنا الحديث عن موضوع التفريغ الديني للأندلس تحت دافع النمذجة بالإشارة إلى رواية "المخطوط القرمزي" لأنطونيو غاللا، التي لاقت صدقاً واسعاً عند العرب والإسبان على حد سواء. وإذا كان صيتها عند العرب مرده العاطفة لكل ما هو أندلسي دون تأمل حقيقي للمحتوى؛ فقد نجحت في إسبانيا لأنها قدمت الملك الصغير بما يجافي أفق التوقع عنه لدى المتلقي العام؛ فأخرجته من الصفة الحربية وألبسته لباس المنقف مع نزعة تحررية دينياً وأخلاقياً، ما يشكل نمودجا أندلسياً يقابل الانغلاق والرجعية الأوروبية آنذاك. وإضافة للدينية، صورته الرواية منفلتاً على المستوى الأخلاقي الجنسي؛ فقدمته شاداً مزدوج العلاقة الجنسية، في محيط يموج بالمثلية بين الذكور حتى ذكور الجراء!^(١)، وقد ذكرنا آنفاً أن غاللا ينطلق من الجو العام المتوفر على الأندلس، ويمثل اتجاهًا حيًا فيه يتكئ على النمط أو يخلقه دون اعتبار للتاريخ.

هناك من يتحدث عن وجود مثلية حقيقية في الأندلس وأنه في الوقت الذي اعتادت أوروبا تجريمه والحكم على ممارسيه بالموت شنقاً؛ كان في الأندلس أمراً مألوفاً بدءاً بملوكها الذين ألفوا أن يكون لديهم ما يعرف بالحريم الذكوري، وهم

(١) انظر على سبيل المثال لا الحصر المخطوط القرمزي، أنطونيو غاللا، ص ٤٤، ٩٧-٩٨،

الأندلس والأدب الأندلسي

الخصيان المنذورون للمتعة الشخصية لهؤلاء الملوك مزدوجي النزعة الجنسية أيضًا^(١). والواقع أن بعض المستعربين من غير الإسبان مارس دورًا كبيرًا في ترسيخ فكرة اعتيادية الشذوذ وطبيعته في الأندلس، فهذا المستعرب الفرنسي الكبير ليفي بروفنسال يرى أن المثلية عند الأندلسي أيا كان كانت أمرًا فطريًا، يبادلها مع علاقته الطبيعية مع امرأته^(٢)! وأرى أن هذا التأكيد أقرب لأن يكون نتيجة انطباع مسبق أو انجذاب داخلي، منه لواقعية بحثية حقيقية.

وهناك من تقصى بالدرس تجارة الشذوذ في مدن أندلسية، ليخلص إلى أنها راجت على نحو يكشف عن وجود طلب عالٍ لهذا النوع من المتعة، وكما أن النزعة ضد التدين وضد الفقهاء فشا-كما ناقشنا سلفًا-في الطبقات العليا من المجتمع، تقرر هذه الدراسات، ولذات المغزى التعظيمي، أن هذه الممارسة كانت مألوفة في علية القوم، وأنها ربما كانت بتأثير من الثقافات السابقة للوجود العربي في إسبانيا، في إشارة لا تسلم من نزعة تأميم أيضًا. وتخلص هذه الدراسات كذلك أنه قد عرف رجال باحتراف هذا السلوك في القرن الثاني عشر الميلادي لصالح الطبقة العليا من المجتمع في الوقت الذي بقيت فيه دعاة النساء رائجة في الطبقة الدنيا^(٣). والواقع أن الأمر من التعقيد بالقدر الذي يصعب معه القطع بروج

(١) Antología de la poesía andalusí, Manuel Francisco Reina, pp.٧٢-٧٣, ٨١.

(٢) España musulmana hasta la caída del Califato de Córdoba. Instituciones y vida social e intelectual. Évariste Lévi-Provençal, trad. E. García Gómez. Madrid: Espasa-Calpe, ١٩٥٧, p. ٢٨٩.

(٣) انظر:

Camilo Álvarez de Morales. "La sociedad de al-Andalus y la sexualidad"; Mujeres en al-Andalus. Manuela Marín, Madrid: CSIC, ٢٠٠٠; Daniel Eisenberg. "Homosexuality in medieval Spain. En Encyclopedia of medieval Iberia. New York, ٢٠٠٣, p.٣٩٨-٣٩٩; Homosexualidad en el Islam. Cultura Historia y Literatura. O. Murray Stephen, y Will Roscoe, Nueva York: University Press, ١٩٩٧.

د . صالح عيظة الزهراني

المتلية واعتياديتها في المجتمع الأندلس على النحو الذي تصوره بعض الدراسات الاستعرابية، تمامًا كما لا يمكن دحضه بارتياح من جهة أخرى.

لكن الذي يعيننا من هذا هو ما نلمحه في كتابات المستعربين الإسبان من توفر به وتأكيد قطعي لرواجه واعتياديته، ما يدفع للاعتقاد بوجود رغبة في ربط حضارة الأندلس بالحرية الجنسية التي من أشد مظاهرها المتلية. وأستحضر في هذا المقام كلامًا شديد الدلالة على هذه النزعة في الأوساط الاستعرابية الإسبانية عند واحد من أهم المستعربين في القرن العشرين، وهو كلاوديو سانثيث ألبورنو، الذي يقول: "لولا حروب الاسترداد، لانتصرت المتلية الجنسية التي كانت منتشرة في إسبانيا الإسلامية"^(١). فهذا الاقتباس وإن كان في سياق من الإقصائية التي عرف بها ألبورنو تجاه الحضارة الأندلسية؛ يبرهن على أن الفكرة تكاد تكون مستقرة في دوائر الاستعراب الإسباني، ولولا ذلك ما كان له أن يعدها حقيقة يبرر بها حروب الاسترداد الإسبانية.

وفي السياق ذاته لكن من منظور مختلف عن ألبورنو؛ يسترسل سابق الذكر مانويل فرانسيسكو رينا في الحديث عن هذه الظاهرة ويصورها على أنها قضية محورية في تناول الحضارة الأندلسية. فيرى المتلية مظهرًا حضاريًا للأندلس في مقابل المسيحية الإسبانية وتزمتها وتخلفها الحضاري، وأن من أهم ركائز حروب الاسترداد الإسبانية هو القضاء على المتلية الإسلامية واليهودية في الأندلس! وفي ثنايا كتابه يحشد أمثلة ذات دلالات بعيدة في تعميق الشعور بهذه المتلية وحجم انغراسها عند الأندلسيين؛ فيشير مثلًا إلى المرأة الجميلة الفاتنة كان يتوجب عليها أن ترتدي ملابس الفتيان! هذا لتبدو في الهيئة الأكثر إغراء وكأن صورتها الجاذبة في طبيعتها الأنثوية لم تعد كافية! ثم يعرج على المتلية النسائية

(١) Claudio Sánchez-Albornoz. De la Andalucía islámica a la de hoy. Madrid: Rialp, S.A., ٢ ed., ١٩٨٣, p. ٣٨.

الأندلس والأدب الأندلسي

وازدواجية النزعة الجنسية ويصف الأندلس بأنها تبعاً لذلك حضارة مميزة لا نظير لها حتى يومنا^(١).

ويحاول رينا أن يحترس في نقله يشفعه بعبارة: "ويقال"، وهو احتراس أراه غير مجد؛ فهو كغيره من المستعربين الإسبان الذين يحتفون بالفكرة حد إيصالها للظاهرة المستقرة وإن لم تكن كذلك، ويقدمها بوصفها جزءاً من مكونات الثقافة الأندلسية، رغم أنه في حديثه عن المعتمد بن عباد مثلاً يرى أن وصفه بالشذوذ قد يعود لأعدائه لتكون سلاحاً سياسياً ضده دون نفي له قاطع وربما كان لهذا الرأي أسبابه، التي لا أجد لها كافية لإعفائه-وغيره من المستعربين الإسبان- من مزلق القراءة الموجهة المدفوعة بالعاطفة في هذا الموضوع وغيره. ولاحظ أن حديثه السابق كان في مؤلفه عن الشعر الأندلسي، ما يعني اتخاذه من الشعر وثيقة حضارية، وهذا وإن كان محل نقاش، يظل دليلاً على جوهرية دور الأدب في بناء هذه الأحكام الاستعرابية، وخاصة الشعر الذي تعاملوا معه بوصفه واجهة تحوي القيم العليا للحضارة الأندلسية.

ومن الطريف في الأمر أن نجد باحثاً مثل سيرافين فاتحول الذي لم يأل جهداً في محاولة تنفيذ كل ما وقر عن الأندلس من قيم جميلة معتمداً على مرويات وأخبار مبنوثة في طيات المصادر الأندلسية؛ يتعرض لموضوع المثلية والشذوذ الأندلسي؛ فيذكر أمثلة له ينقلها عن غيره من الباحثين، ثم يحاول دحض الظاهرة- كعادته- معتمداً على نصوص متفرقة تجرم الشذوذ وتبين مصير مرتكبيه في الأندلس، ويؤكد أن المسألة من طرف آخر كانت عبودية قسرية

(١) Antología de la poesía andalusí, Manuel Francisco Reina, pp. ٨٥-٨٧.

(٢) Antología de la poesía andalusí, Manuel Francisco Reina, p. ٢٩١.

د . صالح عيظة الزهراني

جنسياً ولم تكن حرية شخصية، طائناً أنه بهذا ينفي عن الأندلسيين ميزة حضارية نُسبت خطأ إليهم^(١)!

يأتي هذا كله في ظل شح المصادر الأندلسية عن هذه الممارسة، ويظل الأدب مصدراً أساسياً للباحث الإسباني للتوفر عليها، خاصة من خلال ما يعرف بشعر الغزل بالمذكر الذي كثر طرق الشعراء العرب والأندلسيين له، ولا شك أنه الركيزة التاريخية الأهم التي بنى عليها المستعرب الإسباني فكرة المثلية هذه في الغالب، رغم أنه عمل فني يصعب التعامل معه وكأنه وثيقة تاريخية. يعلق الباحث خوسيه بلاس بيغا أن إيميليو غارثيا غومث حين نشر كتابه Poemasarábigo-andaluces (قصائد أندلسية) وترجم فيه أشعاراً من الغزل بالمذكر؛ كان الأمر بمثابة فضيحة في إسبانيا قياساً بالمرحلة المتحفظة التي نشر فيها، وأنه في ترجماته لرجل ابن قزمان لم يقدمه مثلياً فقط بل مزدوج النزعة الجنسية^(٢)، ولا شك أنه حرص بهذا على تقديم الظاهرة بوصفها اعتيادية وذات بعد حضاري لشيوعها بين الخاصة والنخبة من الأندلسيين، وكأنه أراد تحريك المياه الراكدة في بلده، ونفض غبار التزمت والتخلف مستحضراً نموذجاً منفتحاً لأسلافهم الإسبان الأندلسيين.

وفي كتابها عن الشعر الأندلسي، تستعرض ماريا روببييرا ماتا تاريخ الشعر العربي منذ بداياته، ثم تقف تعرج عند فكرة الجمال الحسي عند الذكور وتشير لارتباطها بالقرآن الكريم وشخصية النبي يوسف عليه السلام، مروراً بالحب الأفلاطوني لتنتقل مباشرة إلى سلوك اللوطية وأنه ولج الثقافة العربية في بغداد بوصفه نوعاً من التلطيف أو التهذيب الثقافي، مرتكناً إلى الوعد القرآني بالعفو

(١) Al-Ándalus contra España. La forja del mito, Serafín Fanjul, pp. ١٠-١٣.

(٢) Daniel Eisenberg. "El buen amor heterosexual de Juan Ruiz" En Los territorios literarios de la historia del placer: I Coloquio de Erótica hispana, Madrid: Huerga y Fierro, ١٩٩٦, pp. ٤٩-٧٠, en especial p. ٥٧.

الأندلس والأدب الأندلسي

عن آثام الجسد! وصولاً إلى الأندلس وابن حزم وتأكيدها بأنه كان شديد التسامح مع المثلية الجنسية، ثم تورد أمثلة شعرية في غرض الغزل بالمذكر^(١) ! وفي رأيي، فإن هذا التشديد على تسامح ابن حزم في المثلية يندرج فيما نحن بصدده من استيلاء الأيديولوجيا على منطق هذه الشريحة من مستعربي إسبانيا؛ لأن من يقرأ لابن حزم لا يقر بهذا التسامح "الشديد" ولا يعني إيراده لحكايا أدبية مخالفة أخلاقياً أنه يقرها، وقد عقد في ختام طوق الحمامة ما يشرح رؤيته للمعصية ويدل على نفوره وتنفيره منها.

ويبدو أن الفقيه الأندلسي ابن حزم بات مرجعية في الاستعراب الإسباني للتحلق حول فكرة المثلية الجنسية! ففي تقديم خوسيه أورتيجا إي غاسيت- رغم أنه ليس من المحسوبين على التيار الموالي للأندلس- لترجمة طوق الحمامة التي قام بها غارثياغومث؛ نرى أن الفيلسوف الإسباني يجعل الحالة الأندلسية في هذا الاتجاه مختلفة عن نظيرتها في أوروبا، وحتى في العالم القديم وعند أفلاطون نفسه، لأن الحب الذي يقدمه الأندلس لا يبالي بنوع الجنس بين المتحابين، فهو بذلك يتربع على قمة الحب إذ لا وجود لحب طبيعي وغير طبيعي^٢، وهذا يتقاطع مع رؤية كبير المستعربين غارثياغومث نفسه.

(١) Literatura hispanoárabe, «III. La poesía árabe clásica en al-Ándalus: época omeya», ١٩٩٢, María Jesús Rubiera Mata, Biblioteca Virtual Cervantes <http://www.cervantesvirtual.com/obra-visor/literatura-hispanoarabe--/html/> الفصل الثالث من الكتاب

(٢) El collar de la paloma. Abū Muḥammad Ibn Hazm, versión de Emilio García Gómez, Madrid: Alianza Editorial, ٩ ed., ٢٠١٠, p.١٣.
الصفحة في الترقيم الإلكتروني للكتاب:
<file:///C:/Users/Toshiba/Downloads/٢٠١٦٦٧٠٧-El-collar-de-la-paloma-Abu-Muh.pdf>

د. صالح عيظة الزهراني

إن الاعتناء بموضوع المثلية الأندلسية واضح، وفيه إشعار باحتفاء من الدارسين الإسبان به؛ فهذا كاميلو ألباريث موراليث في إحدى دراساته يرصد روجان هذا النوع من السلوك في المجتمع الأندلسي مستعيناً بالشعر الأندلسي كأزجال ابن قزمان. ويشمل قبل ذلك طوائف المجتمع الأندلسي، فيتحدث عن ممارسيه من ملوك بني أمية في قرطبة، مروراً بالقضاة أيضاً وغلماياتهم، وصولاً لابن الخطيب في القرن الثامن الهجري وقدحه للسلطان محمد السادس من جهة علاقته بالغلما، ويعقب (الباحث) بأن الأمر حق؛ لأن الاتهام دون دليل يعاقب عليه الإسلام، ثم يعرج على الشذوذ بين النساء وأنه واقع ثابت رغم أنه يشير لقلّة المعلومات عنه. وأعجب من ذلك أنه ينتهي إلى خلاصة متصلة بالأدب وموضوع الغزل بالمذكر على نحو معين؛ فيذكر أن السلطة كانت تلاحق من يمارس المثلية الخالصة، وهي التي تكون عن منفعة دون محبة وأن الشعراء يتهمون بهذا النوع من العلاقة ويهاجمونه⁽¹⁾! وهذا استنتاج جريء حيال موضوع شائك يراه المستعرب الإسباني من زاويته، وقد يقبل بوصفه فرضية مطروحة لا نتيجة مستقرة لبحث شامل.

والواقع أن السيد كاميلو ألباريث تجاهل بعض النقاط المهمة انسياقاً وراء إيمانه بهذا السلوك؛ فمن المعروف مثلاً أن ابن الخطيب كان يمثل الشرعية في بلاط الحمراء ولذا اتخذ موقف العداوة السياسية تجاه السلطان المنقلب فأراد وصمه بما يوهن شرعيته عند الجمهور. ثم يذهب الباحث بعيداً في تناول هذه الممارسة عند المعتمد بن عباد اعتماداً على شعره غالباً، وأنه كان ثنائي العلاقة الجنسية (أي يميل للنساء وللغلما)، واقترح أن يكون النقاش ليس على المثلية بل على ثنائية النزعة هذه في توسيع منه لحدود السلوك، ويقبل أن يفسر الأمر بأن

(1) Camilo Álvarez de Morales. "La sociedad de al-Ándalus y la sexualidad", p. ٧٠.

الأندلس والأدب الأندلسي

المسلم في الشبق لا يفرق بين الأجناس، وأن الأندلسي يحب المرأة لأنها أم ولده والغلام لأنه مدار اللذة^(١).

وبمناسبة ذكر المعتمد بن عباد، الذي يحتفي به الإسبان ملكاً ورمزاً للجنوب الإسباني؛ نجد أثرًا لتلك الحفاوة من زاوية سلوكه الشخصي، وخاصة مثليته، متخذين من ذلك موضوع دراسة يلهب الفضول للاقتراب من شخصيته أكثر^(٢). وكما أن "المخطوط القرمزي" لأنطونيو غالابا كان ثمرة للفكر الاستعراي الإسباني كما أسلفنا؛ كذلك كانت أعمال إبداعية أخرى، منها ما يمتد لخارج حدود إسبانيا نفسها، عند الناطقين بالقشتالية من دول أميركا الجنوبية مثلاً، كالشاعر التشيلي سيرخيو ماثياس، في ديوانه الشعري الشهير "مخطوطة الأحلام". في هذا الديوان يستلهم شخصية المعتمد ويصوره في كثير من نصوصه شاذًا ذا علاقة مثلية مع صديقه الشاعر ابن عمار، ولولا أن المسألة محسومة من جهة الدارسين الإسبان لهما استحالت مثليته رمزًا ملهمًا للشعراء^(٣).

الجدير بالذكر أن هذا الديوان قدمت له المستعرية المعروفة ماريًا خيسوسروبيريًا ماتا وهي مغرمة أخرى بالمعتمد، وقد وصفت في المقدمة العلاقة

(١) Camilo Álvarez de Morales. "La sociedad de al-Ándalus y la sexualidad", pp.٦٧-٧٠.

وانظر للمزيد:

Mujeres en al-Ándalus, Manuela Marín. Madrid: CSIC, ٢٠٠٠.

(٢) لا يزال هذا الربط بين المعتمد بن عباد والمثلية حاضرًا في كتابات المحدثين الذين يتناولون تاريخ الظاهرة إجمالاً دون التخصيص بالأندلس. انظر مثلاً:

El Homosexualismo. Gerardo Sánchez Navarro, Estados Unidos: Createspace Independent Pub, ٢٠١٠, p. ١٠٤.

(٣) El manuscrito de los sueños. Sergio Macías Brevis, España: Fundación Vipren/Alograf Chiclana de la Frontera, ٢ ed., ٢٠٠٨.

د. صالح عيظة الزهراني

بينه وبين ابن عمار بعلاقة معشوق بمعشوقه يريد خالصاً له^(١)، فعمقت-من خلال رمزية المعتمد الثقافية- الشعور لدينا بقبولها هذا النوع من السلوك بوصفه واجهة للأندلس، دون أرضية تاريخية موثوقة، إذ "الشعراء يقولون ما لا يفعلون" على ما سبق أن نقلناه من دراساتهم.

ويبدو أن باحثتنا تؤمن بهذا السلوك في الأندلس بين الذكور أكثر منه بين الإناث؛ لشيوع ما يعرف بشعر الغزل بالذكر؛ إذ هي ذاتها حين الحديث عن ولادة بنت المستكفي تتردد في القطع بمثلتيها خلافاً لمستعربين آخرين: " يفترض وجود علاقة شذوذ بينهما (تقصد ولادة ومهجة)، لكن لا دليل على ذلك"^٢. ومن وجهة نظري، فإن هذا التردد لا يعفيها من إشكالية التحيز للعاطفة وهي تحاول إثبات اعتيادية السلوك الشاذ في رموز الأندلس، منطلقة من شعر الغزل بالذكر، والشعر بما هو فن، يعتمد المجاز لا الحقيقة، ويستحلي المراوغة في مثل هذه النوع من الأغراض الشعرية، فلا يمكن اعتماده دليلاً تتبني عليه أحكام قاطعة.

وإذا كانت ماتا تثبت حيناً وتتردد حيناً آخر؛ فغيرها يكاد يثبت بالكلية، ويبنى عليه فكرته البحثية. فهذه تيريسا غارولو بدورها تشير لفكرة التحرر الجنسي عند ولادة وتنقل-دونما تبين واضح- فرضية أنه بتأثير من المسيحية^(٣)، لنعود من جديد لذات الفكرة التي تمسح الأندلس، كما عند ميغيل آسن بالاثيوس، وتؤكد

(١) El manuscrito de los sueños. Sergio Macías Brevis, p.٧.

(٢) Poesía femenina hispanoárabe. M^a Jesús Rubiera Mata, Barcelona: Castalia, ١٩٨٩, p.١٠٧.

وانظر:

M. Aragón Huerta. "Wallada". En Enciclopedia de la cultura andalusí. Biblioteca de al-Ándalus, Almería: Fundación Ibn Tufayl, ٧, pp.٥٩٢-٥٩٩, en especial p. ٥٩٦.

(٣) Teresa Garulo. "La biografía de Wallada, toda problemas". En Anaquel de Estudios Árabes, vol.٢٠, ٢٠٠٩, pp.٩٧-١١٦; en especial p. ٩٨.

الأندلس والأدب الأندلسي

وجود الظاهرة في الأندلس من جهة، وأنها وليدة إسبانيا من جهة أخرى. وتقل غارولو- بشيء من الحذر- فكرة اعتبار ولادة- من خلال شعرها- نموذجًا نسويًا وافق هوى النازعين لأسطورة المرأة الأندلسية وجعلها مثلًا للتححرر مقابل سلطة الرجل، وكأنهم اكتشفوا وجهًا آخر للمرأة الشرقية عمومًا. واعتمادًا على شعرها أيضًا، وضعتها بعض الدراسات بجوار شاعرات من العصر الوسيط الغربي عرف بعضهن بنوع من التححرر والثورة على التقاليد الذكورية، وبالتالي الريادة للاتجاه النسوي، مثل صافو الإغريقية وكريستين دي بيسان الفرنسية^(١). ولا شك أن حضورها مع صافو الإغريقية المعروفة برمزيته للمثلية النسائية، لإشارة تستحق الوقوف في إطار نمذجة الأندلس من خلال البعد التحريفي في العلاقات الجنسية بوصفها فعلًا اجتماعيًا حضاريًا، وهو ما تؤيده المستعربة الإسبانية مانويلا مارين بقولها إن المثلية بين النساء مورست في الأندلس في الطبقات العليا من المجتمع وأنه كان أمرًا "خاصًا بالنساء الأكثر ثقافة وتهذيبًا"^(٢)!

(١) Teresa Garulo. "La biografía de Wallada, toda problemas", p. ٩٨;

وانظر:

Anthology of Ancient and Medieval Woman's Song.

Anne L. Klinck, New York: Palgrave Macmillan, ٢٠٠٤, pp.٥٨-٥٩.

(٢) Mujeres en al-Ándalus. Manuela Marín, p.٦٧٩.

خلاصة

بعد هذه الوقفة مع الاستعراب الإسباني الحديث، يمكن القول بأن الخصوصية الكامنة فيه من جهة توفره الشديد على الأندلس لا يمكن عزوه إلى الدافع البحثي وحده؛ بل هناك عوامل أخرى أبلغ تأثيراً في المستعرب الإسباني حصرتها الدراسة في عاملين اثنين قدرت كفايتهما في تفسير الظاهرة هما: القومية والنموذجية. لقد شعر المستعرب الإسباني بانتماء جذري للأندلس على اعتباره هوية له، ساعده على قبولها ما قدره في ذلك الماضي من نموذجية دفعته للبحث فيه عن مثالية من نوع ما حتى لو تطلب الأمر ممارسة شيء من الانتهاك القرآني والتأويلي، خصوصاً وهو يلبسه أثواباً من القيم الحضارية الغربية الحديثة. لذا نراه يجنح إلى تحريره من ريقه الدين ويشيع فيه مطلق الحرية، فإذا هو قد سبق عصره وبز ثقافات في العالم الحديث اليوم. ولقد اعتمدت الدراسة متفرقات من المدونة النقدية الإسبانية التي ارتكزت على التراث الأندلسي عامة والأدبي منه على وجه الخصوص.

مراجع البحث

* المراجع العربية

- ابن زمرك، محمد، ديوان ابن زمرك الأندلسي، تحقيق: محمد النيفر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧.
- الإدريسي، الحسين، "مسارات التحول في مواقف المستعربين الإسبان"، المغرب: مجلة العلوم الإنسانية، ع ٢٨، ٢٠١٦، ص ص ١٥٨-١٨٢.
- البمبي، علي عبد الرؤوف، المقامات وباكورة قصص الشطار الإسبانية، الرياض: كتاب الرياض، ع ٤٨، ١٩٩٧.
- بيغيرا، ماريا خيسوس، "الإمارة والخلافة والطوائف، مراجعة تاريخية"، أبحاث مؤتمر في الحضارة الأندلسية بين عامي ٧١١-١٦١٦م من عرب إلى موريسكيين.. جزء من تاريخ إسبانيا، قرطبة ٢٠١١، ترجمة: سري عبد اللطيف، وجمال عبد الرحمن، الكويت، ٢٠١٤، ص ص ٢٣-٥٢.
- الزهراني، صالح عيظة. " إيقاع الصورة في نقوش الحمراء"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، س ٣٧، ع ١٤٦، ٢٠١٩، ص ص ٦٩-١١٦.
- السندي، صالح، "مدرسة كوديرا وتلاميذه الإسبانية ودورهم في نشر وترجمة التراث الإسلامي في أوروبا"، مؤتمر الاستشراق ماله وما عليه، كلية العلوم والآداب بالرس، ج ٢، ٢٠١٦، ص ص ٩٦٩-٩٩٧.
- عباس، محمود حسن، حي بن يقظان وروبنسون كروزو. دراسة مقارنة، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٣.
- عبد الهادي، زاهر، صلة الموشح والأزجال بشعر التروبادور، القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٨٦.
- العسري، عبد الواحد. الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني، بيروت: دار المدار الإسلامي، ط ٢، ٢٠١٥.

د . صالح عيظة الزهراني

- العمارتى، محمد، الأندلس بروى استعرايية (دراسة فى جهود المستعريين الإسبان المهتمين بالتراث الأندلسى)، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٣.
- الإستعراب الإسبانى وجاذبيية الحضارة الإسلامية فى الأندلس، قراءة فى أعمال المستعرب إيميليو غارثيا غوميث، عمان: دار الجنان، ٢٠١٤.
- غالا، أنطونيو، *المخطوط القرمزي*، تر. رفعت عطفة، دمشق: دار ورد، ط ٢، ١٩٩٨.
- لوبيث-بارالت، لوثى، أثر الإسلام فى الأدب الإسبانى، تر. أحمد أبو حامد وعلي البمبى، القاهرة: مركز الحضارة العربية، ٢٠٠٠.
- ليفي-بروفنسال، إفاست، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبيية، ترجمه للإسبانية: إيميليو غارثيا غومث، نقله للعربية: علي البمبى وآخران، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠.
- مكى، الطاهر أحمد، دراسات أندلسية فى الأدب والتاريخ والفلسفة، مصر: دار المعارف، ط ٥، ١٩٨٧.
- هلال، محمد غنيمى، النماذج الإنسانية فى الدراسات الأدبية المقارنة، القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٥٧.

* المراجع الأجنبية

- Ágreda, Fernando de «Nuevas y viejas fuentes sobre los “Beni Codera”. En *Miscelánea de Estudios Árabes y Hebraicos. Sección Árabe-Islam*, Granada: núm. ٥٧, ٢٠٠٨, pp. ٤٢٥-٤٥٠.
- Alcantud, José Antonio González. *El mito de al-Ándalus : orígenes y actualidad de un ideal cultural*, Córdoba: Almuzara, ٢٠١٢.
- Al Andalus y lo andaluz*. Córdoba: AlMuzara, ٢٠١٧.
- Almagro Cárdenas, Antonio. *Biografía del doctor D. Francisco Javier Simonet*. Granada, ١٩٠٤.

- Álvarez de Morales, Camilo. "La sociedad de al-Andalus y la sexualidad", *Actas del Congreso Conocer al-Andalus*, Sevilla, ۲۰۱۰, p. ۴۳-۷۳.
- Ángel Palancia, González. *Historia de la literatura árabe-española*. Barcelona: Labor, ۱۹۴۵.
- Aragón Huerta, M. "Wallada", En *Enciclopedia de la cultura andalusí. Biblioteca de al-Andalus*, Almería: Fundación Ibn Tufayl, ۷, pp. ۵۹۲-۵۹۹.
- Asín Palacios, Miguel. *La indiferencia religiosa en la España musulmana: según Abenhazam, historiador de las religiones y las sectas*, Madrid: Imprenta Ibérica, ۱۹۰۷.
- Bernabé Pons, Luis Fernando; Cutillas Ferrer, José Francisco. "Necrológica. María Jesús Rubiera Mata (۱۹۴۲-۲۰۰۹)". En *Sharq Al-Andalus. Estudios mudéjares y moriscos*, Universidad de Alicante, núm. ۱۹, ۲۰۰۸-۲۰۱۰, pp. ۳۳۷-۳۴۹.
- Bosch Vilá, Jacinto. "El orientalismo Español: panorama histórico. Perspectivas actuales", En *Boletín de la Asociación Española de Orientalistas*, núm. ۳, ۱۹۶۷, pp. ۱۷۵-۱۸۸.
- Burillo, Fernando De Ágreda. "Don Ángel González Palencia: ۱۸۸۹-۱۹۴۹, Apuntes biográficos". *Anaquel de Estudios Árabes*, IX, ۱۹۹۸, pp. ۲۱۵-۲۳۸.
- Cano, María José; Molina, Beatriz. "Judaísmo, Cristianismo e Islam En Sefarad: ¿Un ejemplo de diálogo intercultural?". *MEAH, sección Hebreo* ۴۹, ۲۰۰۰, pp. ۲۰۷-۲۳۲.
- Conde, José Antonio. *Thekr al Andalus taleef Sherif Aledris / Descripción de España de Xerif Aledris, conocido por El Nubiense*,

د. صالح عيظة الزهراني

- con traducción y notas de Josef Antonio Conde, Madrid: Guillermo Blázquez, ۲۰۰۳. Ed. original Madrid: Imprenta Real, ۱۷۹۹.
- Eisenberg, Daniel. "El buen amor heterosexual de Juan Ruiz" En *Los territorios literarios de la historia del placer: I Coloquio de Erótica hispana*, Madrid: Huerga y Fierro, ۱۹۹۶, pp. ۴۹-۷۰.
- "Homosexuality in medieval Spain. *En Encyclopedia of medieval Iberia*. New York, ۲۰۰۳. pp. ۳۹۸-۳۹۹.
- Fanjul, Serafín. *Al-Andalus contra España: La forja del mito*, Madrid: Siglo XXI, ۲۰۰۲.
- La Quimera de al-Andalus*, Madrid: Siglo XXI, ۲۰۰۴.
- Fierro, María Isabel. *La heterodoxia en al-Ándalus durante el período omeya*. Madrid: Instituto Hispano-Árabe de Cultura, ۱۹۸۷.
- "Las pioneras del arabismo español" En *al-Andalus y la Historia*, <http://www.alandalusylahistoria.com/?p=۱۰۲۷>
- Francisco Reina, Manuel. *Antología de la poesía andalusí*, Madrid: Edaf, ۲۰۰۷.
- García Gómez, Emilio. *Poemas arábigoandaluces*. Madrid: Espasa-Calpe, ۱۹۵۹.
- Garulo, Teresa. "La biografía de Wallada, toda problemas". En *Anaquel de Estudios Árabes*, vol. ۲۰, ۲۰۰۹, pp. ۹۷-۱۱۶.
- "Notas sobre mu'ayn en al-Andalus. El capítulo VII del Nafḥ al-ṭīb de al-Maqqarī". *Anaquel de Estudios Árabes*, ۲۰۱۵, vol. ۲۶, pp. ۹۳-۱۲۰.
- Gómez Martínez, José L., "Américo Castro y Sánchez Albornoz, dos posiciones ante el origen de los españoles", México: *Nueva Revista de Filología Hispánica*, tomo XXI, núm. ۲, ۱۹۷۲, pp. ۳۰۱-۳۱۹.
- González Ferrín, Emilio. *Historia general de Al Ándalus*. Córdoba: Almuzara, s. d., ۲۰۱۹.

- Ibn Hazm. *El collar de la paloma*. Versión de Emilio García Gómez, Madrid: Alianza Editorial, 9 ed., 2010.
- Juliá, Santos. *Historias de las dos Españas*. Madrid: Taurus, 2004.
- KLINCK, Anne L. (ed). *Anthology of Ancient and Medieval Woman's Song*, New York: Palgrave Macmillan, 2004.
- Lévi-Provençal, Évariste. *España musulmana hasta la caída del Califato de Córdoba. Instituciones y vida social e intelectual*. Trad. E. García Gómez. Madrid: Espasa-Calpe, 1957.
- López García, Bernabé. "Orígenes del arabismo español. La figura de Francisco Fernández y González y su correspondencia con Pascual de Gayangos". En *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuán*, núm. 19-20, 1979, pp.277-306.
- Macías Brevis, Sergio. *El manuscrito de los sueños*, España: Fundación Vipren/Alograf chiclana de la Frontera, 2 ed., 2008.
- Marín, Manuela. *Mujeres en al-Andalus*. Madrid: CSIC, 2000.
- "En los márgenes de la ley: el consumo de Alcohol en al-Ándalus". En *Estudios onomástico-biográficos de al Andalus (Identidades marginales) XIII*, 2003, pp.271-328.
- Martínez Montávez, Pedro. *Significado y símbolo de al-Andalus*. Almería: Fundación Ibn Tufayl, 2013
- Al-Andalus, España, en la literatura árabe contemporánea*, Madrid: Mapfre, 1992.
- Menocal, María Rosa. *La joya del mundo: musulmanes, judíos y cristianos, y la cultura de la tolerancia en al-Andalus*. Trad. Carolina Sanín, Barcelona: Plaza & Janes, 2003.
- Moral Molina, Celia del. "La imagen de la mujer a través de los poetas árabes andaluces (s. VIII-XV)", En *La Mujer en Andalucía*. 1º

Encuentro Interdisciplinar de Estudios de la Mujer. Pilar Ballarín y Teresa Ortiz (eds.), Granada, 1990, nº 3, vol. II, pp. 703-730.

- "La Mujer árabe en Andalucía durante la Edad Media. Estado de la cuestión de los trabajos publicados hasta el momento", En *Las Mujeres en la Historia de Andalucía. Actas del II Congreso de Historia de Andalucía*, Córdoba, 1991. Córdoba: 1994, pp. 35-40.
- Murray Stephen, O y Roscoe, Will. *Homosexualidad en el Islam. Cultura Historia y Literatura*. Nueva York: University Press, 1997.
- Puerta Vilchez, José Miguel. *Historia del Pensamiento Estético Árabe: Al-Andalus y La Estética Árabe Clásica*, Granada: Universidad. 2018.
- *Leer la Alhambra*, Almería: Fundación Ibn Tufayl, 2010.
- Puerta Vilchez, J. M, y Lirola Delgado, J. "Ibn Tufayl, Abu Bakr". En *Enciclopedia de la cultura andalusí. Biblioteca de al-Ándalus*, Almería: Fundación Ibn Tufayl, 2007, 5, pp. 498-503.
- Ramón Guerrero, Rafael, "Miguel Asín Palacios y la filosofía musulmana", *Revista Española de Filosofía Medieval*, 2, 1995, pp. 7-17.
- Reina, Manuel Francisco. *Antología de la poesía andalusí*. Madrid: EDAF, 2007.
- Rivera, Julián. *Disertaciones y opúsculos*, Madrid: E. Maestre, 1928.
- *El cancionero de Abencuzmán*, Madrid: Imprenta de Estanislao Maestre, 1915.
- *Épica Andaluza Romanceada*, Madrid: Real Academia de la Historia 1915.
- *La música de las Cantigas. Estudio sobre su origen y naturaleza*, Madrid 1922.

- La música árabe y su influencia en la española*, Madrid: Boletín de la Real Academia de Historia, ۱۹۲۷.
- Rubiera Mata, María Jesús. *Poesía femenina hispanoárabe*. Barcelona: Castalia, ۱۹۸۹.
- Literatura hispanoárabe*, «III. La poesía árabe clásica en al-Andalus: época omeya», ۱۹۹۲.
- Biblioteca Virtual Cervantes <http://www.cervantesvirtual.com/obra-visor/literatura-hispanoarabe--0/html/>
- Sánchez-Albornoz, Claudio. *De la Andalucía islámica a la de hoy*. Madrid: Rialp, S.A., ۲ ed., ۱۹۸۳.
- Sánchez Navarro, Gerardo. *El Homosexualismo*. Estados Unidos: Createspace Independent Pub, ۲۰۱۰.
- Santiago Simón. Emilio de "In memoriam Soledad Carrasco Urogaiti (۱۹۲۲–۲۰۰۷)" En *MEAH, Sección Árabe-Islam* ۵۶ (۲۰۰۷), pp. ۲۷۹–۲۸۰.
- Sobh, Mahmud, *Poetisas Árabeandaluzas*, Granada: Diputación Provincial, s.d.
- Valdivia Valor, J. *Don Miguel Asín Palacios. Mística cristiana y mística musulmana*, Madrid: Hiperión, ۱۹۹۲.
- Viguera, María Jesús. «Al-Andalus y España. Sobre el esencialismo de los Beni Codera». En *Manuela Marín. Al-Andalus/España. Historiografías en contraste*, Madrid: Casa de Velázquez, ۲۰۰۹, pp. ۶۷–۸۲.
- Von, Schack, Adolfo Federico. *Poesía y arte de los árabes en España y Sicilia*, trad. Juan Valera, México: Centauro, ۱۹۴۴.

* * *